

أَخْصِيَّةُ الْأَوَّلِيِّ

فِي شَرْحِ حَدِيثِ أَخْصِيَّةِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى

للامام العلامة المحدث الحافظ الأصولي الواعظ الفقيه

زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين

أبي العباس أحمد بن حسن بن رجب شيخ المحدثين

في عصره المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

رحمه الله وجعل الجنة مثواه



جميع أصوله وعلق عليه محمد خير الدين المشقي من علماء المذهب الأزهري وصاحب

إدارة المطبعة الخيرية

طبع على نسختين مختلفتين التاريخ أشهر اليها في أمم صحائف الكتاب

حقوق الطبع محفوظة لها

درب الانوار رقم ١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تفتي

الحمد لله رب العالمين : وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيين *
وإمام المتقين [ورسول رب العالمين] (١) * وعلى آله وصحبه والتابعين
لهم باحسان إلى يوم الدين [وسلم تسليما كثيرا] (٢) *

خرج الامام أحمد رحمه الله تعالى من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه
قال «احتبس عنار رسول الله ﷺ ذات غداة (٣) في صلاة الصبح حتى كدنا
نترأى (٤) قرن الشمس فخرج رسول الله ﷺ سريعا ثوب (٥) بالصلاة
وصلى وتجاوز في صلاته فلما سلم قال : كما أنتم على مصافكم ثم أقبل الينا فقال
انى سأحدثكم ما حبسنى عنهم الغداة إني قمت من الليل فصليت ما قدر لى
فنعست في صلاتى حتى استثقلت (٦) فاذا أنا برى عز وجل فى أحسن صورة
فقال يا أحمد [اتدرى] (٧) فيم يختصم الملائة الأعلى ؟ قلت : لا أدرى رب قال :
يا أحمد فيم يختصم الملائة الأعلى ؟ قلت : لا أدرى رب قال : يا أحمد فيم يختصم
الملائة الأعلى ؟ قلت : لا أدرى رب (٨) فرأيت وضع كفه بين كتفى حتى

(١) الزيادة من النسخة النجدية (٢) الزيادة من النسخة النجدية (٣) فى مسند
الامام أحمد ج ٥ ص ٢٤٣ « عن صلاة الصبح » (٤) الترائى تفاعل من الرؤية يقال
ترأى القوم اذا رأى بعضهم بعضا وتراعى لى الشئ أى ظهر حتى رأيت (٥) المراد
بالثوب هنا الاقامة (٦) فى المسند « حتى استيقظت » وسعيد ذكره المصنف
بعد بلفظ ما هنا (٧) الزيادة من المسند (٨) كذا فى النسختين بتكرار الاستفهام
ثلاثا ، وفى المسند مرتين فقط

وجدت برد أنامله في صدرى (١) وتجلى لى (٢) كل شيء وعرفت فقال :
يا محمد فيم يختص الملائ الأعلى ؟ قلت : في الكفارات والدرجات (٣)
قال : وما الكفارات ؟ قلت : نقل الأقدام إلى الجمعات . والجلوس في
المساجد بعد الصلوات . واسباغ الوضوء عند الكريهات قال : وما الدرجات
قلت : اطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام قال سل ؟ قلت :
اللهم إني أسئلك فعل الخيرات . وترك المنكرات . وحب المساكين .
وأن تغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفنى غير مفتون وأسألك
حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى إلى حبك ، وقال رسول الله ﷺ
إنها حق فادرسوها وتعلموها وخرجه الترمذى ، وقال : حديث حسن
صحيح قال : وسألت محمد بن اسماعيل البخارى عن هذا فقال : هذا حديث
حسن صحيح .

(قلت) : وفي أسناده اختلاف وله طرق متعددة وفي بعضها زيادة
وفي بعضها نقصان ، وقد ذكرت عامة أسانيدهم وبعض الفاظه المختلفة في كتابى
شرح الترمذى ، وفي بعض الفاظه عند الامام أحمد . والترمذى أيضا والمشى
على الأقدام إلى الجماعات ، بدل الجمعات : وفيه أيضا عندهما بعد ذكر
الكفارات زيادة دو من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته
كيوم ولدته أمه وفيه أيضا عندهما والدرجات افشاء السلام ، بدل لين
الكلام ، وفي بعض رواياته « فعلت ما فى السماء والأرض ثم تلى » وكذلك
نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) ، وفي رواية
أخرى فتجلى لى ما بين السماء والأرض « وفي رواية « ما بين المشرق » وفي

(١) في المسند « بين صدرى » (٢) في المسند « فتجلى لى »

(٣) سقط لفظ « والدرجات » من المسند غلطا

بعضها زيادة في الدعاء وهي «وتتوب على» وفي بعضها «اسبغ الوضوء في السبرات» (١) وفي بعضها «وقال يا محمد اذا صليت فقل : اللهم اني أسألك فعل الخيرات ، فذكره .

والمقصود هنا شرح الحديث وما يستنبط منه من المعارف والأحكام وغير ذلك . ففي الحديث دلالة على أن النبي ﷺ لم يكن من عادته تأخير صلاة الصبح الى قريب طلوع الشمس وإنما كانت عادته التغليس (٢) بها، وكان أحياناً يسفر بها (٣) عند انتشار الضوء على وجه الأرض ، وأما تأخيرها الى قريب طلوع الشمس فلم يكن من عادته ولهذا اعتذر لهم عنه في هذا الحديث . وقد قيل إن تأخيرها الى هذا الاسفار الفاحش لا يجوز لغير عذر وانه وقت ضرورة كتأخير العصر الى بعد اصفرار الشمس وهو قول القاضى (٤) من أصحابنا في بعض كتبه ، وقد أوما اليه الامام أحمد وقال : هذه صلاة مفرط إنما الاسفار أن ينتشر الضوء على الأرض . وفي الحديث دلالة على أن من أخر الصلاة الى آخر الوقت لعذر أو غيره وخاف خروج الوقت في الصلاة ان طولها أن يخففها حتى يدركها كلها في الوقت .

وأما قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما طول في صلاة الفجر وقرأ بالبقرة

(١) هو - بفتح السين المهملة والياء الموحدة - جمع سبرة يسكون الباء وهي شدة البرد وسيفسرها المصنف بعد ذلك

(٢) الغلس ظلمة آخر الليل اذا اختلطت بضوء الصباح ، والتغليس التأخير الى هذا الوقت (٣) يقال : اسفر الصبح اذا انكشف وأضاء ، والاسفار التأخير الى هذا الوقت

(٤) اصطلاح علماء الحنابلة في كتبهم اذا اطلق القاضى ينصرف الى علامة زمانه محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء الملقب بابى يعلى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

ف قيل له كادت الشمس أن تطلع فقال : لو طلعت لم تجدنا غافلين ، فان أبا بكر رضى الله عنه لم يتعمد التأخير الى طلوع الشمس ولا أن يمدها ويطيئها حتى تطلع الشمس لأنه دخل فيها بغلس وأطال القراءة وربما كان قد استغرق في تلاوته فلو طلعت الشمس حينئذ لم يضره لأنه لم يكن متعمداً لذلك ، وهذا يدل على أنه كان يرى (١) صحة الصلاة لمن طلعت عليه الشمس وهو في صلاته لما أمر النبي ﷺ من طلعت عليه الشمس - وقد صلى ركعة من الفجر - أن يضيف اليها أخرى •

وفي حديث معاذ دليل على أن من رأى رؤيا تسره فانه يقصها على أصحابه وأخوانه المحبين له ولا سيما إن تضمنت رؤياه بشارة لهم (٢) وتعلما لما ينفعهم وقد كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر يقول لأصحابه :

(١) في النسخة النورية : كان يومى الى صحة الصلاة ، (٢) وذلك ليجلب السرور لأخوانه ولا سيما اذا تعلقت الرؤيا بهم فتكون نواة للأعمال وتتجسم بالتكرار والتقرين فانه متى ابتداء بالقول يتسرب الى نفسه سرور أصحابه فيجد بعض ما يحسون به فيقدم على عمل ما ينفعهم كما يعمل لنفسه ، وهذا ما أشار اليه حديث أنس قال : قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، رواه البخارى . ومسلم فكان ﷺ يريد أن يدخل المسلمون الفرح على بعضهم ولو بالشئ الصغير أو بمجرد القول فليس كل أحد يقدر أن يسر أخوانه بعمله بل بعضهم ليس محتاجا الى عمل يفرح به بما يتعلق بالحياة الدنيا فاذا بشره برؤياه فانه يهش لذلك ويبدى الشكر العظيم فلا ينبغي للإنسان أن يحتقر أى شئ كان حتى ولو كان رؤيا ، ولهذا كان يقول ﷺ لأصحابه : « من منكم رأى شئ ليفرح الذى لا يجدهما يتقدم به الا مثل هذا فيحق له أن يشترك معهم فى البحث والمسرات •

« من رأى منكم الليلة رؤيا » (١) وفيه أيضا أن من استثقل نومه في تهجده بالليل حتى رأى رؤيا تسره فإن في ذلك بشرى له . وفي مراسيل الحسن « إذا نام العبد وهو ساجد باهى الله الملائكة يقول : يا ملائكتي انظروا إلى عبدى جسده في طاعتي وروحه عندى » وفيه دلالة على شرف النبي ﷺ وتفضيله بتعليمه ما في السموات والأرض وتجلي ذلك له مما تختصم فيه الملائكة في السماء وغير ذلك كما أرى إبراهيم ملكوت السموات ، وقد ورد في غير حديث مرفوعا وموقوفا أنه ﷺ أعطى علم كل شيء خلا مفاتيح الغيب الخمس التي اختص الله عز وجل بعلمها ، وهي المذكورة في قوله عز وجل : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير) .

وأما وصف النبي ﷺ لربه عز وجل بما وصفه به فكل ما وصف النبي ﷺ ربه عز وجل به فهو حق وصدق يجب الإيمان والتصديق به كما وصف الله عز وجل به نفسه مع نفى التمثيل عنه ومن أشكل عليه فهم شيء من ذلك واشتبه عليه فليقل بما مدح الله تعالى به الراسخين في العلم وأخبر

(١) هو في صحيح البخارى ج ٩ ص ٨٠ وغيره من كتب السنة قال المصنف : تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح أولى من غيره من الأوقات لحفظ صاحبها لها لقرب عهده بها وقبل ما يعرض له نسيانها ، ولحضور ذهن العابر وقلة شغله بالملكرة فيما يتعلق بمعاشه ، وليعرف الرائي ما يعرض له بسبب رؤياه فيستبشر بالخير ويحذر من الشر ويتأهب لذلك فربما كان في الرؤيا تحذير عن معصية فيكف عنها وربما كانت انذارا لآمر فيكون له متوقفا ، فهذه عدة فوائد لتعبير الرؤيا أول النهار ، والله أعلم .

عنهم أنهم يقولون عند المتشابه (آمنا به كل من عند ربنا) وكما قال النبي ﷺ في القرآن : « وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه » خرجه الامام أحمد والنسائي . وغيرهما ، ولا يتكف مالا علم له به فانه يخشى عليه من ذلك الهلكة (١) .

سمع ابن عباس يوم ما من يروى عن النبي ﷺ شيئا من هذه الأحاديث فاتفق رجل استنكارا لذلك فقال ابن عباس : ما فرق هؤلاء يجدون

(١) يشير الى الاعتراض على مذهب المتأخرين من تأويل الآيات المتشابهات وحماها على ما لم يصف الله به نفسه كاليد على القدرة مثلا مع أنهم يدعون أن معتصمهم ومستندهم في مذهب التأويل آية « ليس كمثل شيء » فذهب المتأخرين - على اعتقادهم - هو عبارة عن تبيان ما أجمله مذهب المتقدمين وذلك ان علماء السلف يقولون : يد لا نعلمها بحيث تليق بالله تعالى فاذن لم يقولوا اللفظ على إطلاقه فلم يقولوا باستعماله بالكيفية التي جاء فيها ظاهرا أى بالشكل الذي يؤديه المعنى الظاهر وإنما قالوا هو مؤل لكننا لا نعلم التأويل ، وأما نحن المتأخرين فان الجهمية والمجسمة والحلولية وسائر فرق الضلالة الذين يلعبون بأفكار العوام ويفسدون معتقداتهم هم الذين أجبرونا أن نصرف الألفاظ الى الصفات التي ذكرها الله في كتابه واختصها لنفسه حفظا للمعتقدات من الزيغ ، وعليه فلا خلاف بين مذهب السلف والخلف في نظرهم وكلاهما مؤول وكل يتكلم حسب انتشار الضلالة في زمانه هكذا يزعمون ، ولو تأمل المتأمل لرأى أن المتأخرين لما أولوا اليد بالقدرة احتاجوا أن يؤلوا قوله تعالى : (بل يدها مبسوطتان) فرجعوا الى ما فروا منه ، ولا شبهة في أن مذهب السلف في قولهم يد لا كالأيدى ليس بتأويل وإنما اخبار بالحقيقة لأن صفات الباري تعالى كلها كذلك كما أخبر ليس كمثل شيء .

رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه » خرجه عبدالرزاق في كتابه عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضی الله عنهما كلما سمع المؤمنون شيئا من هذا الكلام قالوا : هذا ما أخبرنا الله ورسوله (وصدق الله ورسوله وما زادهم الا إيمانا وتسليما) هـ

وفيه دلالة على أن الملائكة الأعلى وهم الملائكة أو المقربون منهم يختصمون فيما بينهم ويتراجعون القول في الأعمال التي تقرب بني آدم إلى الله عز وجل وتكفر بها عنهم خطاياهم هـ وقد أخبر الله عنهم بأنهم يستغفرون للذين آمنوا ويدعون لهم هـ وفي الحديث الصحيح : إن الله إذا أحب عبدا نادى إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى في السماء أن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض هـ وقال أبو هريرة رضي الله عنه : إذا مات ابن آدم قال الناس : ما خلف وقالت الملائكة : ما قدم (١) فالملائكة يسألون عن أعمال بني آدم ولهم اعتناء بذلك واهتمام به وبقي الكلام على المقصود من الحديث وهو ذكر الكفارات والدرجات والدعوات ونعقد لكل واحدة منها فصلا مفرداً هـ

(١) والسبب في هذا السؤال أن الملائكة لا يعصون الله لفقدهم الشهوة والطمع لذلك لا يعرفون الأمل ولا يعلمون الا الشيء الواقع فيسألون عما قدم الشخص في حياته . أما الانسان فلما كانت حياته مبنية على الاجتماع لكثرة احتياجه فهو يسأل عما خلف أخوه المسلم لتعلقه به ولو من حيث التعارف مع ابنائه لاسيما ان كان خلفه صالحا فيرجو السائل له الخير لما يأمله من حصول ما يعود على والده من النفع له لأن غالب السائلين يكونون من الأصدقاء وذوي العلاقة فهم يطمعون أن تزيد حسناته بعد موته اذا

﴿الفصل الأول في ذكر الكفارات﴾

وهو اسباغ الوضوء في الكريهات . ونقل الأقدام الى الجمعات أو الجماعات . والجلوس في المساجد بعد الصلوات وسميت هذه كفارات لأنها تكفر الخطايا والسيئات ولذلك جاء في بعض الروايات : من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه ، (١) وهذه

كانت غير وافية في حياته مؤملين ذلك من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » وقال تعالى : (قل كل يعمل على شاكلته) ويبحث عما يمس به أو يرجي أن يكون له به علاقة وهذا هو سر قول الناس عن مات : ماذا خلف ؟

(١) لما اشتمل عليه الصلاة من الخضوع لله تعالى والانابة اليه والتوبة من الاعمال السيئة فان من صدق في هذا الموقف العظيم ليس بكثير ان تغفر خطايا الماضية ولا يستطيع ان يصدر خطايا مادام يعمل انه بعد سويغات يقف امام الحالم العدل ويعرض اعماله جديدة على المحكم الالهية على من لا تخفى عليه خافية الا ان يكون ممن اتخذ الصلاة عادة او انه لا يفقه حكمها بأكثر من الوقوف والركوع والسجود وهذه ليست الصلاة الحقيقية لان الصلاة وصفها الله تعالى بقوله : (وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين) والقيام والقعود والسجود ليس بالامر الكبير فتري الاطفال الصغار في لعبهم يفعلون حركات تزيد على اعمال المصلي اضعافا مضاعفة ولا نعتها بالامر الكبير والافان الصلاة الصادقة تكفر الخطايا لما ينتج عنها من حسن النية واستقامة الاعمال والتباعد عن كل المنهيات لانه ثمرة الصلاة كما قال تعالى : (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) فكل ما ورد بحق الصلاة من

الخصال المذكورة الأغلب عليها تكفير السيئات ويحصل بها أيضا رفع الدرجات كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: اسبغ الوضوء على المكاره. وكثرة الخطا إلى المساجد. وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط» (١)

وقد روى هذا المعنى عن النبي ﷺ من وجوه متعددة فهذه ثلاثة أسباب يكفر الله بها الذنوب، أحدها الوضوء وقد دل القرآن على تكفيره الذنوب في قوله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) إلى قوله: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) فقوله تعالى: (ليطهركم) يشمل طهارة ظاهر البدن بالماء وطهارة الباطن من الذنوب والخطايا، وإتمام النعمة إنما يحصل بمغفرة الذنوب وتكفيرها كما قال تعالى لبيد ﷺ: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك) وقد استنبط هذا المعنى محمد بن كعب القرظي ويشهد له الحديث الذي أخرجه الترمذي وغيره عن معاذ «أن النبي ﷺ سمع رجلا يدعو يقول اللهم اني أسالك تمام النعمة فقال له اتدري ما تمام النعمة؟ قال: دعوة دعوت بها أرجوها الخير فقال النبي ﷺ: إن

غفران الذنوب ورفع الدرجات فهو خاص بالصلاة التي ذكرها الله بانها كبيرة وانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وعليه فان ما يوصل الى هذه الثمرة الجليلة والعمل الصالح لا يستغرب ان يكون سبباً لكل شرف ونخر في الدنيا والآخرة ان شاء الله تعالى»

(١) في صحيح مسلم ج ١ ص ٨٦ بدون تكرار جملة «فذلكم الرباط»

تمام النعمة النجاة من النار ودخول الجنة ، فلا تتم نعمة الله على عبده إلا بتكفير سيئاته (١) *

وقد تكاثرت النصوص عن النبي ﷺ بتكفير الخطايا بالوضوء كما في صحيح مسلم عن عثمان رضى الله عنه ، أنه توضأ ثم قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئى هذا ثم قال: «من توضأ هكذا غفر له» (٢) ما تقدم

(١) وذلك لأن نعم الله على عبده فى الدنيا كثيرة كما قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) فتمام هذه النعم ان يحوله الى دار نعيمها لا يزول خالدا فيها ابدأ وذلك بصرفه عن النار التى قال تعالى: (وان منكم الا واردها) وبدخوله الجنة لأن اعمال الانسان لا تكفى جزأ من النعم التى يجب لله على عبده ان يؤديه الشكر والحمد عليها فتبقى السيئات محتاجة إلى التكفير، وهذا ما يترشح من حديث ابى هريرة كما فى صحيح البخارى « ان يدخل احداً عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا إلا ان يتغمدنى الله بفضل رحمته »

(٢) ذكر الامام النووى فى شرحه على مسلم مانصه وقد يقال اذا كفر الوضوء فماذا تكفر الصلاة ؟ واذا كفرت الصلاة فماذا تكفر الجمعة ورمضان؟ وكذلك صوم يوم عرفة كفارة سنتين ويوم عاشوراء كفارة سنة واذا وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ، والجواب ما اجاب العلماء ان كل واحد من هذه المذكورات صالح للتكفير فان وجد ما يكفره من الصغائر كفره وان لم يصادف صغيرة ولا كبيرة كتبت به حسنات ورفعت به درجات وان صادف كبيرة او كباير ولم يصادف صغيرة رجوا ان يخفف من الكبائر والله اعلم اه بالحرف ، وليس غفران الذنوب بالامر الشاق على كرم الله تعالى ورحمته تجاه عبد ادرك حقيقة الوضوء

من ذنبه وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة * وفيه ايضاً عن النبي ﷺ قال: « من توضأ فاحسن الوضوء خرجت خطايا من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره » (١) ه وفيه أيضاً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجليه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب » (٢) ه وفيه ايضاً عن عمرو بن عبسة عن النبي ﷺ قال: « ما منكم من رجل (٣) يقرب وضوءه فيمضمض ويستنشق فينثر إلا خرجت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه ثم إذا غسل

والصلاة وجاء مستسلماً ليقف بين يدي ربه طائعاً اليه تائباً من ذنوبه جازماً بتأدية ما عليه من الحقوق فإن تلك الوقفة مهولة جداً قد تكون سبب تلفه لو أدرك خطورة الحال وعرض ذنوبه فإن الجارى بين الناس ان بعض الوجهاء وذوى الحيثية اذا هين وسردت اعماله الخبيثة على ملا من الناس قد يسوقه التأثر الى ان تخرج روحه ويموت في مجلسه فما بالك بمن يقف امام الله وعن يمينه ملائكة تشهد عليه وتكتب ما قال وما عمل فهل يتصور ان يصر على ذنوبه ام يتوب توبة نصوحاً؟ والى هذا الحال او مات آية (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) فليس كثيراً على من بلغ به الخوف من مقام ربه الى هذه الدرجة ان تخرج ذنوبه من تحت اظفاره حتى لم يبق منها شيء اصلاً ه (١) هو في صحيح مسلم ج ١ ص ٨٥ (٢) هو في صحيح مسلم ج ١ ص ٨٥ (٣) في صحيح مسلم ج ١ ص ٢٢٩ ه ما منكم من رجل باسقاط لفظ « من » وفي مسند الامام احمد ج ٤ ص ١١٢ ه ما منكم من احد

وجهه كما أمره الله إلا خرجت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرجت خطايا يديه من أنامله مع الماء ثم يمسح رأسه إلا خرجت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرجت خطايا رجليه من أنامله مع الماء فإن هو قام فصلى حمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كميتته يوم ولدته أمه ﴿ (١) وفي الموطأ . ومسند الإمام أحمد . وسنن النسائي . وابن ماجه عن الصنابحي عن النبي ﷺ قال : « إذا توضأ العبد المؤمن فمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنشق (٢) خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشعار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة [له] (٣) » وفي المسند عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « ما من مسلم يتوضأ فيغسل يديه ويمضمض فاه ويتوضأ كما أمره الله إلا حط الله عنه يومئذ ما نطق به فمه وما لمس بيده وما مشى إليه حتى أن الخطايا تحادر من أطرافه ثم هو

(١) هو في صحيح مسلم ج ١ ص ٢٢٩ مطولاً جداً اختصره المصنف واقتصر على محل الشاهد منه ، وقوله « خرجت » في مسلم « خرت » بدل خرجت في الكل تنبيه

(٢) في سنن النسائي ج ١ ص ٧٤ فاذا استنشق ، وفي مسند الإمام أحمد ج ٤ ص ٣٤٩ إذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من أنفه وهو غلط لأن الخطايا تخرج من الفم إذا تمضمض لا من أنفه وبهذا تعلم أن فيه سقطاً وصوابه كما هاتينبه (٣) الزيادة من مسند الإمام أحمد

إذا مشى الى المسجد فرجل تكتب حسنة وأخرى تمحو سيئة * وفيه أيضا عن النبي ﷺ قال : دأبنا رجل قام الى وضوئه يريد الصلاة ثم غسل كفيه نزلت خطيئته من كفيه مع أول قطرة فاذا مضمض واستنشق واستنثر نزلت خطيئته من لسانه وشفثيه مع أول قطرة فاذا غسل وجهه نزلت خطيئته من سمعه وبصره مع أول قطرة فاذا غسل يديه الى المرفقين ورجليه الى الكعبين سلم من كل ذنب هو له وكان (١) من كل خطيئة كفيته يوم ولدت أمه فاذا قام الى الصلاة رفع الله درجته وان قعد قعد سالما ، ه وفي المعنى أحاديث أخر وفيما ذكرناه كفاية [ولله الحمد والمنة] (٢) ه

وقد وردت النصوص أيضا بحصول الثواب على الوضوء وهذا زيادة على تكفير السيئات ففي صحيح مسلم عن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » (٣) ه وفيه أيضا عن

(١) في المسند ج ٥ ص ٢٦٣ سقط لفظ « وكان » (٢) الزيادة من النسخة النجدية

(٣) في صحيح مسلم ج ١ ص ٨٣ اختلاف في بعض الألفاظ وزيادة

ولعل المصنف أدخل رواية في رواية وأتى بمحصلهما واقتصر على محل الشاهد وهو في سنن النسائي ج ١ ص ٩٣ بهذا اللفظ بدون زيادة ولا نقصان

وقوله : « يدخل من أيها شاء » هذا على حسب همته ودرجة قائله وشدة

اكثرائه بالوضوء وشفقه بالوصول الى الله حين وقوفه أمامه وهيبته من

العرض وكشف أعماله التي لا تخفى على الله بل قد يطلع عليه الملائكة

الحفظة والكرام الكاتبون ه

أبي هريرة عن النبي ﷺ [يقول] (١) : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » (٢) وفيه أيضاً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « أتم الغر المحجلون [يوم القيامة] (٣) من إسباغ الوضوء » * وخرجه البخاري ولفظه « أن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء » (٤) *

واعلم أن حديث معاذ بن جبل في المنام إنما فيه ذكر إسباغ الوضوء على الكريهات : وكذا في حديث أبي هريرة المبدوء بذكره في هذا الفصل فهنا أمر أن أحدهما إسباغ الوضوء وهو أتمامه وإبلاغه مواضعه الشرعية كالثوب السابغ المغطى للبدن كله * وفي مسند البزار عن عثمان مرفوعاً « من توضأ فأصبح الوضوء غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وإسناده

(١) الزيادة من صحيح مسلم (٢) هو في صحيح مسلم ج ١ ص ٨٦ مطولاً وأراد بالحلية النور الذي يظهر عليه من آثار الوضوء ، والوضوء بفتح الواو ما يتوضأ به ، والمعنى أن اهتمام الشخص في الوضوء واعتباره أهبة للتقدم أمام خالق الأرض والسموات يتوب من زلاته ويستزيد التوفيق والخيرات كمثل الحلي فهو يتفاوت بالاتقان والإجادة فكما أن الحلي تتضاعف قيمته باتقانه حتى ولو كان من غير النقيدين فإن بعض القطع النحاسية لو أتقن نقشها وأجيدت صنعتها لزادت على قيمة النقيدين فإذا كانت من الذهب زادت اضعافاً مضاعفة وكذلك الوضوء حلية المؤمن وسلاحه كما في الحديث الآخر فعلى حسب نيته وإخلاصه ينال الأجر العظيم والمكافأة الجزيلة في الدنيا والآخرة *

(٣) الزيادة من صحيح مسلم والحديث مطول اختصره المصنف

(٤) هو في صحيح البخاري ج ١ ص ٧٦ بزيادة في أوله وآخره *

لا بائس به ، وخرجه ابن أبي عاصم من وجه آخر عن عثمان ، وخرج النسائي وابن ماجه من حديث أبي مالك الأشعري عن النبي ﷺ قال : « اسبغ الوضوء شطر الايمان » وخرجه مسلم ولفظه ، الطهور شطر الايمان » (١) .

وثانيهما أن يكون اسبغ على الكريهات ، والمراد أن يكون على حالة تكره النفس فيها الوضوء وقد فسر بحال نزول المصائب فان النفس حينئذ تطلب الجزع فلاشتغال عنه بالصبر والمبادرة الى الوضوء والصلاة من علامة الايمان كما قال عز وجل : (استعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) . وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) . والوضوء مفتاح الصلاة وقد يطلق به حرارة القلب الناشئة عن ألم المصائب كما يؤمر من غضب باطفاء غضبه بالوضوء ، وفسرت الكريهات بالبرد الشديد ويشهد له أن في بعض روايات حديث معاذ « اسبغ الوضوء على السبرات » والسبرة شدة البرد : ولا ريب أن اسبغ الوضوء في شدة البرد يشق على النفس وتتألم به وكل ما يؤلم النفس ويشق عليها فانه كفارة للذنوب وان لم يكن للانسان

(١) هو في صحيح مسلم ج ١ ص ٨٠ من حديث طويل ، وأصل الشطر

النصف واختلف في معناه هنا ، ولما كانت الصلاة متوقفة عليه والصلاة شطر من الايمان على مذهب المحدثين وكثير من الأئمة وأهل الكلام الذين يقولون بالايمان تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان ولا سيما الخنابلة فقد نص مذهبهم على أن حد تارك الصلاة كسلا أن يقتل كفراً لا فرق بينه وبين المرتد فلا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين جعل شطرا من الايمان والله أعلم .

فيه صنع ولا تسبب كالمرض ونحوه كما دلت النصوص الكثيرة على ذلك .
 (وأما) ان كان ناشئاً عن فعل هو طاعة الله تعالى فإنه يكتب لصاحبه به
 أجر وترفع به درجاته كالآلم الحاصل للجاهد في سبيل الله تعالى قال الله
 عز وجل : (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل
 الله ولا يبطئون موثناً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب
 لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين) وكذلك ألم الجوع والعطش
 الذي يحصل للصائم فكذا التآلم بأسباغ الوضوء في البرد ويجب الصبر على
 الآلم بذلك فان حصل به رضى فذلك مقام خواص العارفين المحبين وينشأ
 الرضى بذلك عن ملاحظة أمور .

أحدها تذكر فضل الوضوء من حطه الخطايا ورفع الدرجات وحصول
 الغرة والتججيل به و بلوغ الحلية في الجنة الى حيث يبلغ وهذا لما انكسر
 ظفر بعض الصالحات من السلف من عشرة عشرتها فضحك وقالت : أنساني
 حلوة ثوابه مرارة وجعه . وقال بعض العارفين : من لم يعرف ثواب الأعمال
 ثقلت عليه في جميع الأحوال .

الثاني تذكر ما أعده الله عز وجل لمن عصاه من العذاب بالبرد والزمهرير
 في الآخرة فان شدة برد الدنيا يذكر زمهرير جهنم ، وفي الحديث
 الصحيح « إن أشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم » فملاحظة هذا
 الآلم الموعود يهون الاحساس بالآلم برد الماء كما روى عن زيد اليامي (١)
 أنه قام ليلة للتهجد وكان البرد شديداً فلما ادخل يده في الاناء وجد شدة

(١) هو موحدة مصغراً ، واليامي منسوب الى يام بطن من همدان ، وفي النسخة

النورية « زيد اليامي » وهو غلط في الاسم صحيح في النسبة ، وفي النسخة النجدية

« زيد اليامي » وهو صحيح في الاسم غلط في النسبة

برده فذكر زمهرير جهنم فلم يشعر ببرد الماء بعد ذلك وبقيت يده في الماء حتى أصبح فقالت له جاريته : مالك لم تصل الليلة كما كنت تصل؟ فقال : اني لما وجدت شدة برد الماء ذكرت زمهرير جهنم فهاشعرت به حتى أصبحت فلا تخبري بهذا أحدا مادمت حيا *

الثالث ملاحظة جلال من أمر بالوضوء ومطالعة عظمتة وكبريائه وتذكر التيقن للقيام بين يديه ومناجاته في الصلاة فذلك يهون كل ألم ينال العبد في طلب مرضاته من برد الماء وغيره وربما لم يشعر بالماء بالكلية كما قال بعض العارفين : بالمعرفة هانت على العاملين العبادة * قال سعيد بن عامر : بلغني أن ابراهيم الخليل عليه السلام كان إذا توضأ سمع لعظامه قعقة * وكان على ابن الحسين إذا توضأ اصفر فيقال له ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم له ؟ (١) وكان منصور بن راذان إذا فرغ من وضوئه يبكي حتى يرتفع صوته فليل له ماشأ أنك ؟ فقال : وأى شيء أعظم من شأني أني أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سنة ولا نوم فلعله يرضى عني * وكان عطاء السلي إذا فرغ من وضوئه ارتعد وانتفض وبكى بكاء أشديدا فليل له في ذلك فقال : اني أريد أن أتقدم الى أمر عظيم اني أريد أن أقوم بين يدي الله عز وجل *

الرابع استحضار اطلاع الله عز وجل على عبده في حال العمل له وتحمل المشاق لأجله فن ييقن أن البلاء بعين (٢) من يحبه هان عليه الألم كما أشار

(١) لا شك أن مثل هذه الفكرة وحصول هذه الهيبة من الوقوف أمام رب الارباب يذيب السيئات ويجعلها حسنات (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات)

(٢) أى بمشاهدته واطلاعه كأنه يراه بعينه ولذلك يشفق لذلك الامر وان كان يشق على نفسه تحمل مثله لو كان من غير المحبوب ولا ريب ان هذا يتفاوت فكما ازداد الحب

تعالى الى ذلك بقوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) وقوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام: (لا تخافا انى معكما أسمع وأرى) وقال صلى الله عليه وسلم: «اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك» قال أبو سليمان: قرأت في بعض الكتب يقول الله عز وجل: بعينى ما تحمل المتحملون من أجلى وكابد المكابدون فى طلب مرضاتى فكيف بهم وقد صاروا فى جوارى وتبحجوا فى رياض خلدى؟ فمنالك فليست بشرا المصفون لله أعمالهم بالمنظر العجيب من الحبيب القريب أترون أنى أضيع لهم عملاً فكيف وأنا أجود على المولين عنى فكيف بالمقبلين الىه

فاسباغ الوضوء فى البرد لاسيما فى الليل يطالع الله عليه ويرضى به ويباهى به الملائكة فاستحضر ذلك يهون ألم برد الماء وفى المسند. وصحيح ابن حبان عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رجلان من أمتى يقوم أحدهما من الليل (١) يعالج نفسه الى الطهور وعليه عقد (٢) فيتوضأ فاذا وضأ يديه انحلت عقدة واذا وضأ وجهه انحلت عقدة واذا مسح رأسه (٣) انحلت عقدة واذا وضأ رجليه انحلت عقدة فيقول الرب (٤) عز وجل للذى وراء الحجاب: انظروا الى عبدى هذا يعالج نفسه [يسألنى] (٥) ما سألتنى عبدى

والعشق فإنه لا يرى شيئاً منكراً اوصعباً مهما عظم مادام يصدر من محبوبه «كل ما فعله المحبوب محبوب» وقد يبلغ منه الوله الى درجة انه يستمدب ذلك العذاب ويراه امرأ نافعا فمما أدائه يظهر قدرته فى اتقائه واظهار الاخلاص والرضاعنه وهذا هو الحب الحقيقى الذى من اتصف به شعر بكونه ممن قال فيهم (يشترى بهم برحمة منه ورضوان)

(١) فى المسند ج ٣ ص ٢٠١ سقط لفظ «من» (٢) فى المسند وعليه عقدة

(٣) فى المسند «برأسه» وهو موافق لنظم القرآن (٤) فى المسند «فيقول الله» بدل الرب

(٥) الزيادة من المسند ج ٣ ص ٢٠١

هذا فوله * وذكر بقية الحديث (١) * وروى عن عطية عن أبي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله يضحك الى ثلاثة نفر رجل قام من جوف
الليل فأحسن الظهور فصلى، وذكر الحديث * كان بعض السلف له ورد بالليل
فقتل عنه فنهف به هاتف ينظر الله في الليل لما يصنع خدامه اذا قاموا
أوحشتهم (٢) على الخدمة أحكامه *

الخامس الاستغراق في محبة من أمر بهذه الطاعة وأنه يرضى بها
ويحبها كما قال تعالى : (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) فمن امتلا
قلبه من محبة الله عز وجل أحب ما يحبه وإن شق على النفس وتألمت
به كما يقال المحبة تهون الاثقال * وقال بعض السلف في مرضه أحبه الى
أحبه اليه * وكما قيل * فالجرح اذا أرضاكم ألم (٣) * وكما قيل أيضاً :

(١) ليس للحديث بقية في المسند * (٢) كذا بالأصل بالشين ولعله
بالتاء المثناة وحذف أو من الحث ليكون العمل مدفوعاً بشيء أما قيام لالعة وهذا
هو التوحيد الصرف بأن يعبد الله لذاته أو ان احكام الله تحته على العمل
وتلك الاحكام اما النار فيخشاها او الجنة فيطمع فيها ويرضاها *

(٣) هذا عجز بيت لابي الطيب المتنبى وصدره *

ان كان سرهم ما قال حاسداً فما لجرح اذا أرضاكم ألم
قال العلامة الواحدى في شرحه : يقول ان سررتهم بقول حاسداً وطعنه فينا
فقد رضىنا بذلك ان كان لكم به سرور فان جرحا يرضيكم لم نجد لذلك الجرح
الما ، وهذا من قول منصور الفقيه :

سررت لهجرك لما علمت بأن لقلبك فيه سروراً
ولولا سرورك ما سرتنى ولا كنت يوماً عليه صبوراً
لانى أرى كل ما ساءنى اذا كان يرضيك سهلاً يسيراً

في حبكم يهون ما قد ألقى يسعد بالنعيم من لا يشقى

من خدم من يحب تلذذ بشقائه في خدمته * وقال بعضهم: القلب المحب لله يحب
النصب (١) له وقال عبد الصمد: أوجد لهم في عذابه عذوبة. أسباغ الوضوء على
المكاره من علامات المحبين كما في كتاب الزهد للإمام أحمد عن عطاء بن يسار قال:
قال موسى عليه السلام: يا رب من أهلك الذين هم أهلك الذين تظلمهم في ظل عرشك؟
قال: هم البرية أبدانهم الطاهرة قلوبهم الذين يتحابون بجلالي الذين إذا ذكرت
ذكرواني وإذا ذكروا ذكرت بذكرهم الذين يسبغون الوضوء في المكاره
وينيئون إلى ذكرى كما تنيب النور إلى أوكارها ويكفون بحبي كما يكلف الصبي
بحب الناس ويعضبون لمحارمي إذا استحلمت كما يغضب النمر إذا حارب (٢) *
وقد يخرق الله العادة لبعض المحبين له فلا يجد ألم برد الماء كما كان بعض السلف
قد دعا الله أن يهون عليه الطهور في الشتاء فكان يؤتى بالماء وله بخار، وربما
سلب بعضهم الاحساس في الحرو البرد مطلقاً، وكان علي بن أبي طالب رضي
الله عنه قد دعا له النبي ﷺ أن يذهب الله عنه الحرو والبرد فكان يلبس
في الصيف لباس الشتاء وفي الشتاء لباس الصيف وقال النبي ﷺ فيه:
«إنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» * ورأى أبو سليمان الداراني
في طريق الحج في شدة برد الشتاء شيخاً عليه أخلاق رثة وهو يرشح عرقاً
فسأله عن حاله فقال إنما الحر والبرد خلقان لله عز وجل فإن أمرهما أن
يغشيانى أصاباني وإن أمرهما أن يتركانى تركاني، وقال: أنا في هذه البرية

(١) أي التعب ليكون أدل على إخلاصه واثبت على قربه من محبوه
الذي يرجوان يعطف عليه ويخفف عنه التعب بما يأم له من الوصال والرضا
(٢) كفرح أي طلب واشتد غضبه وأكثر ما يكون ذلك منه إذا مس من
ورائه وفي الأمثال هو أحى من أست النمر

منذ ثلاثين سنة يلبسني في البرد فيحيا من محبته ويلبسنى في الصيف برداً من محبته ، وقيل لآخر وعليه خرقتان في برد شديد لو استترت في موضع يمكنك من البرد فأنشد :

ويحسن ظنى أنتى فى فناءه وهل أحد فى كنه يجد البردا
 (السبب الثانى) من مكفرات الذنوب المشى على الأقدام إلى الجماعات وإلى الجماعات ولا سيما إن توضأ الرجل فى بيته ثم خرج الى المسجد لا يريد بخروجه إلا الصلاة فيه كما فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « صلاة الرجل فى الجماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال أحدكم فى صلاة ما انتظر الصلاة » (١) وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « من تطهر فى بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة » (٢) وفى الصحيحين عن أبى

(١) هو فى صحيح البخارى ج ١ ص ٢٦٣ بهذا اللفظ ، وفى صحيح مسلم ج ١ ص ١٨٤ بالفاظ قريبة من هذه

(٢) هو فى صحيح مسلم ج ١ ص ١٨٥ يبان ذلك أن الفروض الخمسة التى بنى الاسلام عليها لها جهتان ، جهة الفرضية وهذه لا بد من أدائها منفردا أو مع جماعة ، وجهة كونها شعيرة من شعائر الاسلام وهذه ينبغى أن تكون فى جماعة فاذا مشى الى المسجد كانت خطاه داعية لغيره من المسلمين الى الصلاة لهذا يثاب فى كل خطوة يخطوها فان الاجتماع مطلوب

هريرة عن النبي ﷺ قال: «كل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة» وفي المسند وصحيح ابن حبان عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد برعى الصلاة كتب له كاتباه بكل خطوة يخطوها الى المسجد عشر حسنات»، وفيهما أيضا عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «من راح الى مسجد جماعة فخطواته خطوة تمحوسية وخطوة تكتب حسنة ذاهبا وراجعا» وفي سنن أبي داود عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم» (١) وفيه أيضا عن رجل من الأنصار عن النبي ﷺ قال: «من

مثل طلب العبادة ذاتها لأن الديانة الاسلامية اعتقادية وعملية تنظر الى المجموع نظرها الى الفرد فكل ما فيه فائدة تعود الى المسلمين فانه عبادة أو من اشرف العبادات وأكملها فترى الشارع في جعل صلاة الجماعة تعدل صلاة الفرد - أي المنفرد بخمس - وعشرين درجة لما يحصل فيها من الفوائد التي تعود على الجماعة من اعلان شعائر الله وترغيب غيره لمثل هذا العمل الجليل والتعارف الذي يكون سببا لقوة الاسلام وحفظ كيانه ولا يستطيع الانسان أن يؤدي عبادة وليس له أعوان يشدون أزره ويؤيدون معتقده ولذلك تجدد الأجر العظيم وعده الله على كل عمل يعود على جماعة المسلمين بالفائدة (١) أي لتشابه القصد في كل منهما ولما كان الاجتماع في الحج أعظم جمعه مشبها به لانه عبارة عن جمعية اسلامية كبيرة يراد منها النظر في مصلحة المسلمين العامة واليه الإشارة في آية (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله) وقد قال صلى الله عليه وسلم كما رواه الدارقطني عن جابر «ابدعوا بما بدأ الله به» فيكون معظم غاية الحج هو شهود منافع المسلمين.

توضاً فأحسن الوضوء ثم خرج الى الصلاة لم يرفع قدمه اليمنى الا كتب الله له بها حسنة ولم يضع قدمه اليسرى الا حط الله عنه بها خطيئة فليقرب أو ليعبد فان أتى المسجد فصلّى في جماعة غفر له ، والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً .

فالمشي الى الجمعات له مزيد فضل لاسيما ان كان بعد الاغتسال (١) كما في السنن عن أوس بن أوس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها » وكما بعد المكان الذى يمشى منه الى المسجد كان أفضل لكثرة الخطا وفي صحيح مسلم عن جابر قال : « كانت دارنا نائية عن المسجد فاردنا أن نبيع بيوتنا فنقرب من المسجد فنهانا رسول الله ﷺ وقال : ان لكم بكل خطوة حسنة » وفي صحيح البخارى عن أنس أن النبي ﷺ قال : « يا بنى سلمة ألا تحتسبون آثاركم » وفي الصحيحين عن أبى موسى أن النبي ﷺ قال : « إن أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم اليها يمشى فابعدهم » ومع هذا فنفس الدار القريبة من المسجد أفضل من الدار البعيدة عنه لكن المشى من الدار البعيدة أفضل (٢) ففى المسند عن حذيفة عن النبي ﷺ أنه

(١) كى لا يؤذى اخوانه المؤمنين فى مجتمعاتهم برائحته الكريهة من عرق وغيره كالدخان ولهذا الحكمة نص الفقهاء على استحباب الغسل عند كل اجتماع ولا شك أنه بالجمعة سنة مؤكدة لانها اجتماع عظيم لا يستطيع المسلم أن يتخاف عنه فلكى لا يكون سبباً لاضرار أخيه جاءت السنة مؤكدة فعل الغسل (٢) ليحصل التعادل بين اجر قرب الدار الذى نشأ عنه فى الغالب حراسة

قال : فضل الدار القريبة من المسجد على الدار البعيدة الشاسعة كفضل الغازي على القاعد ، واسناده منقطع والمشى الى المسجد أفضل من الركوب كما تقدم في حديث أوس في الجمع ، ولهذا جاء في حديث معاذ ذكر المشى على الأقدام ، وكان النبي ﷺ لا يخرج الى الصلاة إلا ماشياً حتى العيدي يخرج الى المصلي ماشياً فان الآتي للمسجد زائر الله والزيارة على الأقدام أقرب الى الخضوع والتذلل كما قيل :
لو جئتم زائراً أسعى على بصرى لم أد حقاً وأى الحق أدت
وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح » والنزل هو ما يعد للزائر عند قدومه ، وفي الطب انى من حديث سلمان مرفوعاً : من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله تعالى وحق على المزور أن يكرم الزائر » وفي صحيح مسلم عن أبي بن كعب قال : كان رجل لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه وكان لا تخطئه صلاة في المسجد قال فقيل له أو قلت له لو اشتريت حماراً تركبه في الظلماء أو في الرمضاء فقال ما يسرنى أن منزلى الى جنب المسجد انى أريد أن يكتب لى مشاى الى المسجد ورجوعى إذا رجعت الى أهلى فقال رسول الله ﷺ : « قد جمع الله لك ذلك كله ، وكلما شق المشى الى المسجد كان أفضل ولهذا فضل المشى الى صلاة العشاء وصلاة الصبح وعدل بقيام الليل كله كما في صحيح مسلم عن عثمان عن النبي ﷺ قال : « من صلى العشاء في جماعة

المسجد وتنظيفه وخدمته وبعد الدار الذى يسبب كثرة الخطى والالو كانت واحدة منها لها جهة الفضل منفردة ان كان البعد هرب الناس من المسجد او القرب تنازعوا عليه وحدثت الفتن والقلاقل

فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل» (١)
وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « أثقل صلاة على المنافقين
صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ، وإنما
ثقلت هاتان الصلاتان على المنافقين لان المناق لا ينشط للصلاة الا اذا
رآه الناس كما قال تعالى: (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس
ولا يذكرون الله الا قليلا) وصلاة العشاء والصبح يقعان في ظلمة فلا ينشط
للمشي اليهما الا كل مخلص يكتفى برؤية الله عز وجل وحده لعله به »

وثراب المشى الى الصلاة في الظلم النور التام في ظلم القيامة كما
في سنن أبي داود . والترمذي عن بريدة عن النبي ﷺ قال : « بشر
المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة » (٢) وخرجه ابن ماجه
من حديث سهل بن سعد ، وقد روى من وجوه كثيرة . وفي بعضها
زيادة « يفرع الناس ولا يفرعون » قال النخعي : وكانوا يرون أن

(١) وذلك لانه حصر فكره واستعد بقيق من رقاده عند الفجر ولما لم
يطلق للنوم عنانه صار كأنه منعص لا يستلذ منه وإنما ينام ليستريح البدن
فقط فلذا شبهه بقيام الليل لما قد يطرأ عليه من الافاقة في الليلة الواحدة مرات
عديدة فكأنه قام الليل تجاه تعب وسعيه للقيام عند صلاة الفجر وبجاهدته
النفس بعد استحصالها على لذة النوم وغلبته على ذلك فجازا جر الجهاد واجر
السفر والتوفيق »

(٢) لانه أدل على الاخلاص وأبعد عن الرياء حيث النفس تجدد لها
ميدانا واسعا وأنصاراً أقوياء وتقطع أملها من حصول ثناء الناس عليها لشدة
الظلام الذي لا يراها فيه أحد الا الله تعالى فيكون عمله خالصا لوجهه فيبشره بالنور
التام ونعم البشارة »

المشي في الليلة الظلماء الى الصلاة موجبة - يعنى توجب المغفرة *
 وروينا عن الحسن قال : أهل التوحيد في النار لا يقيدون فيقول
 الحزنة بعضهم لبعض : ما بال هؤلاء لا يقيدون وهؤلاء يقيدون؟ فيناديهم
 مناد ان هؤلاء كانوا يمشون في ظلم الليل الى المساجد كما أن مواضع
 السجود من عصاة الموحدين في النار لانها كلها النار فكذلك الأقدام التي
 تمشي الى المساجد في الظلم لا تقيد في النار * ولا يسوى (١) في العذاب
 بين من خدمه وبين من لم يخدمه وان عذبه *

ومن كان في سخطه محسنا فكيف يكون إذا مارضى
 لما كانت الصلاة صلة بين العبد وبين ربه ومناجاة تظهر فيها آثار
 تجليه لقلوب العارفين وقربه شرع قبل الدخول فيها الطهارة فانه لا يصلح
 للوقوف بين يدي الله عز وجل والخلوة بمناجاته إلا طاهر فأما المتلوث
 بالأوساخ الظاهرة والباطنة فلا يصلح للقرب فشرع الله عز وجل للصلى
 غسل أعضائه بالماء ورتب عليها طهارة الذنوب وتكفيرها حتى يجتمع
 لمن يريد المناجاة طهارة ظاهرة وباطنة ، ثم شرع المشي الى المساجد *
 وفيه أيضا تكفير الخطايا حتى تكمل طهارة الذنوب إن بقي منها شيء
 بعد الوضوء حتى لا يقف العبد في مقام المناجاة إلا بعد كمال طهارة

(١) وفي نسخة ولا يستوى في العذاب من خدمه ومن لم يخدمه وان
 عذبه اه لقوله تعالى : (ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال
 ذرة شراً يره) فاذا سوى في العذاب بين المتفاوتين في العمل فيكون خلفا للوعد
 وقد قال تعالى : (إن الله لا يخلف الميعاد) ولكن لا على طريق الوجوب بل ذلك
 فضل من الله وكرمه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون *

ظاهرة وباطنة من درن الاوساخ والذنوب ، ولهذا شرع له تجديد التوبة والاستغفار عقب كل وضوء حتى تكمل طهارة ذنوبه كما خرج النسائي من حديث أبي سعيد مرفوعا وموقوفا « من توضأ فأصبغ الوضوء ثم قال عند فراغه من وضوئه : سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك ختم عليها بخاتم فوضعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة » ومتى اجتهد العبد على تكميل طهارته ومشيه الى المسجد ولم يقو ذلك على تكفير ذنوبه فان الصلاة يكمل بها التكفير كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « رأيت لو أن نهرا يباب أحدهم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » وان قوى الوضوء وحده على تكفير الخطايا فالمشي الى المسجد والصلاة بعده تكون زيادة حسنات وهذا هو المراد من قول النبي ﷺ في حديث عثمان : والصنابحي وكان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة ، وقد سبق ذكر الحديثين .

واعلم أن جمهور العلماء على أن هذه الاسباب كلها إنما تكفر الصغائر دون الكبائر وقد استدل بذلك عطاء وغيره من السلف في الوضوء وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه : الوضوء يكفر الجراحات الصغار والمشى الى المسجد يكفر أكثر من ذلك والصلاة تكفر أكثر من ذلك خرجه محمد بن نصر المروزي ، ويدل (١) على أن الكبائر لا تكفر بذلك ما في الصحيحين

(١) لادلالة في الحديث على عدم تكفير الكبائر لأن معنى الحديث اذا

اجتذبت الكبائر بعد الشروع في العبادة سواء كانت من الجمعة الى الجمعة أم

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر » وفي صحيح مسلم عن عثمان عن النبي ﷺ قال : « مامن امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها وسجودها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله » فانظر الى كم تيسر لك أسباب تكفير الخطايا لعلك تطهر منها قبل الموت فتلقاه طاهرا فتصلح لمجاورته في دار السلام وأنت تأتي الا أن تموت على خبث الذنوب فتحتاج الى تطهيرها في كير جهنم يا هذا أما علمت أنه لا يصالح لقربنا الا طاهر فاذا أردت قربنا ومناجاتنا اليوم فطهر ظاهرك وباطنك لتصلح لذلك وإن أردت قربنا ومناجاتنا غدا فطهر قلبك من سوانا لتصلح لمجاورتنا (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) والقلب السليم الذي ليس فيه غير محبة الله ومحبة ما يحبه الله «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا» فما كل أحد يصلح لمجاورة الله تعالى غدا ولا كل عبد يصلح لمناجات الله اليوم ولا على كل الحالات تحسن المناجاة هـ

الناس من الهوى على أصناف هذا نقض العهد وهذا وافي

كانت من رمضان الى رمضان لأن شرط عدم ارتكاب معصية صغيرة أو كبيرة لا يكاد يقوم به إلا أفذاذ قلائل فان الصلوات التي تنهى عن الفحشاء والمنكر فيما يأتي لا يبعد أن تكون وسيلة لاستحصال رحمة الله وغفران ماضى من الكبائر والصغائر لاسيما وأن اجتناب الكبائر وحده مكفر للصغائر كما في الأحاديث الواردة بذلك كثير ، ويرحم الله اللقاني حيث يقول في جوهرته :
وباجتناب الكبائر تغفر صغائر وجا الوضوء يكفر

فالتوبة النصوحة لا يقف أمامها ذنب فضلا من الله ورحمة أن الله يحب التوابين

هيئات من الكدور تبغى الصافي ما يصلح للحضرة قلب جاني (١)

﴿السبب الثاني﴾ من مكفرات الذنوب الجلوس في المساجد بعد الصلوات والمراد بهذا الجلوس انتظار صلاة أخرى لما في حديث أبي هريرة «وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط» فحمل هذا من الرباط في سبيل الله عز وجل وهذا أفضل من الجلوس قبل الصلاة لا انتظارها فإن الجالس لا انتظار الصلاة ليؤديها ثم يذهب تقصر مدة انتظاره بخلاف من صلى صلاة ثم جلس ينتظر أخرى فإن مدته تطول فإن كان كلما صلى صلاة جلس ينتظر ما بعدها استغرق عمره بالطاعة وكان ذلك بمنزلة الرباط في سبيل الله عز وجل.

وفي المسند. وسنن ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: «صليت مع رسول الله ﷺ المغرب فرجع من رجع وعقب من عقب فجاء رسول الله ﷺ مسرعا قد حفزه النفس وقد حسر عن ركبتيه فقال: ابشروا هذاربكم قد فتح بابا من أبواب السماء يباهى بكم الملائكة يقول انظروا الى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى» * وفي المسند عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال. «منتظر الصلاة بعد الصلاة كفارس اشتد به فرسه في سبيل الله على كشحه تصلى عليه ملائكة الله مالم يحدث أو يقوم وهو في الرباط الا كبر» ويدخل في قوله: «والجلوس في المساجد بعد الصلوات» الجلوس للذكر والقراءة وسماع العلم وتعليمه ونحو ذلك لاسيما بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس فإن النصوص قد وردت بفضل ذلك وهو شبيه بمن جلس ينتظر صلاة أخرى لانه قد قضى ما جاء الى المسجد لاجله من الصلاة وجلس ينتظر طاعة أخرى.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتمهم الملائكة وذارهم الله فيمن عنده » *

وأما الجالس قبل الصلاة في المسجد لا ينتظار تلك الصلاة خاصة فهو في صلاة حتى يصلي هـ وفي الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه لما أخرج صلاة العشاء الآخرة ثم خرج فصلى بهم قال لهم: انكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتهم الصلاة » هـ وفيها أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: « الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث اللهم اغفر له اللهم ارحمه ولا يزال أحدكم في صلاة ما لانت الصلاة تحبسه لا يمنع أن ينقلب إلى أهله الا الصلاة » وفي رواية لمسلم « ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه » وهذا يدل على أن المراد بالحدث حدث اللسان ونحوه من الأذى وفسره أبو هريرة بحدث الفرج وقيل أنه يشمل الحديثين هـ وفي المسند عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: « القاعد يراعى الصلاة كالقانت ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع إليه » وفي رواية له « فاذا صلى في المسجد ثم قعد فيه كان كالصائم القانت حتى يرجع » وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة، وبالجملة فالجلوس في المساجد للطاعات له فضل عظيم هـ وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: « لا يوطن رجل المساجد للصلاة والذكر الا تبشش الله عز وجل به لما يتبشش أهل الغائب اذا قدم عليهم غائبهم » * وروى دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: « من ألف المسجد أله الله » (١) هـ وقال سعيد بن المسيب: من جلس في المسجد فأنما

(١) لأنه لا معنى لآله المسجد المساوى لغيره من البيوت العادية من حيث البناء الا لأنه محل اجتماع المسلمين لاداء العبادة فيه لله عز وجل

يجالس الله عز وجل (١) وصح عن النبي ﷺ انه عد من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه هـ

وانما كانت ملازمة المسجد للطاعات مكفرة للذنوب لأن فيها مجاهدة النفس وكفأها عن أهوائها فانها لا تميل الا الى الانتشار في الأرض لا بتغافل الكسب أو لمجالسة الناس أو لمحادثةهم أو للتنزه في الدور الأنيقة والمساكن الحسنة ومواطن التنزه ونحو ذلك فمن حبس نفسه في المساجد على الطاعة فهو مرابط لها في سبيل الله يخالف هواها وذلك من أفضل أنواع الصبر والجهاد وهذا الجنس - أعني ما يؤلم النفس ويخالف هواها - فيه كفارة للذنوب وان كان لا صنع فيه للعبد كالمريض ونحوه فكيف بما كان حاصله عن فعل العبد واختياره اذا قصد به التقرب الى الله عز وجل فان هذا من نوع الجهاد في سبيل الله (٢) الذي يقتضى تكفير الذنوب

ولذلك يألوه الله تعالى اى يحبه ويرضى عنه بغفران الذنوب وازيادة الاجر والثواب والحسنات هـ

(١) لانشغاله بعبادة الله تعالى فينال على القرب المعنوى والافان المجالسة المعروفة في البشر مستحيلة في حقه تعالى لما ينشأ عنها من التجسيم ومشابهة الحوادث تعالى عن ذلك علواً كبيراً ليس كمثل شئ وهو السميع البصير (٢) ولكن هذا كله مشروط اذا توفرت لديه اسباب المعيشة وكان يستحصل رزقه بدون مد يد او انتظار او سآخ الناس من صدقات او غيرها والافان كان كذلك فلا خير فيه ولا خير في عبادته مادام عالة على الناس مشغول القلب بمآيات به فان هذا ولو وجد في المسجد فانه بعيد عنه لان العبرة بالقلب وان الذى يذهب لعمله وقلبه معلق بالمسجد فان له اجر المصاين

كلها ولهذا المعنى كان المشي الى المساجد كفارة للذنوب أيضا وهو نوع من
 الجهاد في سبيل الله أيضا كما أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة عن النبي
 ﷺ « الغدوة والرواح الى المساجد من الجهاد في سبيل الله عز وجل »
 كان زياد مولى ابن عباس أحد العباد الصالحين وكان يلزم مسجد
 المدينة فسمعه يوما يعاتب نفسه ويقول لها: أين تريد أن تذهبى الى
 أحسن من هذا المسجد تريد أن تبصرى دار فلان ودار فلان ، لما
 كانت المساجد فى الأرض بيوت الله أضافها الله الى نفسه أشريفها وتعلق
 قلوب المحبين لله عز وجل بها نسبتها الى محبوبهم وارتاحت (١) الى ملازمتها
 لاظهار ذكره فيها قال تعالى : (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها
 اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
 ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) *
 ابن يذهب المحبون عن بيوت مولاهم ، قلوب المحبين بيوت محبوبهم متعلقة
 وأقدام العابدين الى بيوت معبودهم مترددة *
 يا حبذا العرعر النجدى والبان ودار قوم باكتاف الحمى بانوا

فيه اذا لم يتمكن من الحضور لأسباب مشروعة ولا يفهم أحد أن
 الله أشارع يأمر بأن يلزم الإنسان المسجد ويترك عمله فعاذ الله أن يكون
 ذلك لأن دين الاسلام دين العمل ألا ترى ما فى الحديث قال وقابه معلق بالمساجد
 أى أنه يذهب لعمله ويشتاق للمسجد ولا يترك فرصة تخوله الصلاة فى
 المسجد الا ويستعملها فهذا هو أحد السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظله
 يوم لا ظل الا ظله .

(١) وفى نسخة وارتاحوا الى ملازمتها الخ والضمير فى ارتاحت راجع
 الى قلوب المحبين وعلى النسخة الثانية راجع الى أصحاب القلوب المفهوم ضمنا
 (م ٣ - شرح حديث اختصاص الملا الأعلى)

وأطيب الأرض ما للقلب فيه هوى سم الخياط مع الأحباب ميدان
لا يذكر الرمل إلا حنّ مغترب له بذى الرمل أوطار وأوطان
يهفو إلى البان من قلبي نوازعه وما بى البان بل من داره البان

(الفصل الثانى) فى ذكر الدرجات المذكورة فى حديث معاذ وهى ثلاث،
أحدها اطعام الطعام وقد جعله الله فى كتابه من الأسباب الموجبة للجنة
ونعيمها قال الله عز وجل : (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما
وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً إنا نخاف من
ربنا يوماً عبوساً قمطريراً فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا
وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها
شمساً ولا زمهريراً ودانية عليهم ظلالها وذلّت قطوفها تذليلاً ويطاف عليهم
بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها
تقديراً ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً عينا فيها تسمى سلسبيلاً)
إلى قوله : (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً) فوصف فآلهم وشراهم جزاء
لاطعامهم الطعام، وفى الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ
قال : « أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ومن
سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم » وفى المسند . والترمذى
عن على عن النبى ﷺ قال : « إن فى الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها
وباطنها من ظاهرها قالوا لمن هى يا رسول الله ؟ قال : لمن أطعم الطعام
وأطاب الكلام وصلى بالليل والناس نيام » (١) وفى حديث عبد الله بن

(١) أقول هذه الأمور الثلاثة دالة على اخلاص العبودية الصرفة
فان من أطعم الطعام علم أن أخاه المسلم فى حاجة واعتقد بصحة الاخوة
امثالاً لقول الله تعالى : (إنما المؤمنون اخوة) لهذا أطعم الطعام وعلم أنه لا يملك

سلام الذى خرج به أهل السنن أنه سمع النبي ﷺ أول قدومه المدينة يقول : « أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » ه وفي حديث عبادة عن النبي ﷺ « أنه سئل أى الأعمال أفضل ؟ قال : ه إيمان بالله وجهاد فى سبيله وحج مبرور وأهون من ذلك اطعام الطعام ولين الكلام » خرج به الامام أحمد ه وفي حديث هانىء بن يزيد ان رجلا قال : يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال : « تطعم الطعام وتغشى السلام » وفي حديث حذيفة عن النبي ﷺ قال : « من ختم له باطعام مسكين دخل الجنة » وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو « ان رجلا قال : يا رسول الله أى الاسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرىء السلام على من عرفت ومن لم تعرف » (١) وفي حديث صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم

من هذه الحياة الا ما اكله وشربه ولا يبقى له الا ما تصدق به فاعتم هذه الفرصة واراد ان يخزن له ثروة تنفعه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ، فلولا اعترافه بالعبودية لما قام بأداء ما يجب لها ، واطابة الكلام لینه لأخيه حيث قد آمن بقول الله وعرف ما كان هو عليه من مذرة الى علة الى مضغة خرج من محل البول مرتين ويحمل القدر فى جوفه كل وقت لهذا تباعد عن الكبر والغرور فالان القول لآخوانه امثالاً لما امره الله من الخضوع واظهار السكينة ، وصلاة الليل والناس نيام لا غبار على دعوى اخلاصه لله تعالى فلا يبعد ان يكرم الله هذا الشخص بأكثر مما ورد فى الحديث الشريف مكافأة له على طاعته وكرما من الله الكريم الرحمن ه

(١) ليكون ادل على صحة اعتبارك المسلمين اخوانا تهديء روعهم بكلمة السلام التى هى الأمان وتجعلها فاتحة للكلام الذى يجر الى التعارف فالمودة

قال : « خير لم من اطعم الطعام » (١) خرجه الامام احمد .

فاطعام الطعام يوجب دخول الجنة ويباعد من النار وينجى منها كما قال تعالى : (فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذى مسغبة يتيمًا ذا مقربة او مسكينًا ذا متربة) (٢) وفي الحديث الصحيح

والحجة وهذا من اعظم المطالب التي ارادتها منا الشريعة وبعبارة اخرى انها كلمة التعارف بين المسلمين فلا ينبغي ان تهمل او تضيع لانها العلامة المميزة ومقدمة ترويح الشئون الاجتماعية .

(١) وذلك لانه قام بعمل صحيح إذ أن افشاء السلام وغيره لامشقة فيه على النفس المجبولة على الشح والطمع واطعام الطعام ينافي هذا فهو إذن خير لما يحصل في سبيل عمله من جهاد النفس ولكن كما في الآية ان يكون على حبه تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا .

(٢) ما احلى هذا الترتيب البديع وما ادق ما يدل عليه من الحقائق والمقاصد العالية وتقديم الالهة الى درجة يحار الانسان فيها ويعسر على البراع ان يفصح عنها فقدم فك الرقبة لما فيه من تخليص اخيه من ربة مصيبة استعباد انسان مثله كان مستحقا له بوقوفه امام نشر دعوة الدين ومحاربه الفضيلة والتعاليم وعدم رضوخه للحق بل خاصمه وحاربه وجعلت عبوديته سلسلة الالبناء كي يتأخر الانسان عن التعدى على الحق لانه اذا علم ان المصيبة تسرى الى ابنائه فانه يحجم عن مجادلة دين الله ولهذا جعل الله اعظم اعمال الانسان واشرفها عتق رقبة فحث عليها كثيرا وعدها من اشرف الاعمال الصالحات وجعلها اول الكفارات في الايمان والظهار وقتل الخطأ ثم ثنى بالصدقات واطعام الفقراء وجعلهم قسمين يتيمًا وهو الطفل القريب وقدمه لما يمت اليه من العجز الظاهر بسبب الفقر وبالقرابة وأتى بعده

عن النبي ﷺ « اتقوا النار ولو بشق تمرة » (١) هـ

وكان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يقول لولده : اذكروا صاحب الرغبة ثم ذكر أن رجلاً من بني إسرائيل عبد الله سبعين سنة ثم ان الشيطان حسن في عينه امرأة فأقام معها سبعة أيام ثم خرج هارباً فاقام مع مساكين فنصدق عليه برغيف كان بعض أولئك المساكين يريد دفناً ثم به ثم مات فوزت عبادته بالسبعة الأيام التي مع المرأة فرجحت الأيام السبعة بعبادته ثم وزن الرغبة بالسبعة الأيام فرجع بها هـ

وبتأكد اطعام الطعام للجائع وللجيران خصوصاً ، وفي الصحيح عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : « اطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني » هـ وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال له : « يا أبا ذر (٢) اذا طبخت مرقه فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك » وفي المسند . وصحيح ابن حبان (٣) عن عمر عن النبي ﷺ قال : « أيما

بالمسكين الذي لا يملك شيئاً لأن المقصود اعطاء المحتاج لا فرق بين صغير وكبير

(١) أي فلا ينبغي أن لا يتصدق الإنسان بما يراه بعينه حقيراً اذ يجوز أن تنجم عن هذا الأمر الذي يعده تافهاً أشياء عظيمة فان شق التمرة لمن بلغ غاية الجوع يجوز أن يكون سبب حياته ومن أحيائها فكأنما أحيانا الناس جميعاً وليس في الدنيا شيء الا وله لزوم اذ لم يخلق الله شيئاً عبثاً فليس المدار على كثرة الصدقات وقتلها وانما المدار على الاخلاص فيها لوجه الله تعالى ونحرى المستحقين لها واعطائهم

(٢) في نسخة حذف قوله قال له يا أبا ذر الخ

(٣) وفي نسخة صحيح الحاتم بدل ابن حبان

عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله عز وجل ، (١)
 وقال ﷺ : « لا يشبع المؤمن دون جاره » وفي صحيح الحالم عن ابن عباس عن
 النبي ﷺ قال : « ليس بالمومن الذي يشبع وجاره جائع » (٢) وفي
 رواية « ما آمن من بات شعبانا وجاره طاويا »

فأفضل أنواع اطعام الطعام الايثار مع الحاجة كما وصف الله تعالى
 بذلك الانصار رضى الله عنهم فقال: (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
 خصاصة (٣)) وقد صح ان سبب نزولها ان رجلا منهم اخذ ضيفا من

(١) وذلك لأنهم فقدوا الشفقة والرحمة فاذا كان من يعيش معهم وفي
 وسطهم جائعا لا يعطفون عليه ولا يتحننون عليه فلا شك أنهم لا يؤدون
 الحقوق الالهية ولا يمثلون أوامر الشريعة ويكونون مستحقين لأن يتبرا
 الله منهم ويحل عليهم سخطه وعذابه وتتجرد منه الانسانية

(٢) وفي نسخة « وجار دخار » فلو كان مؤمنا لدفعه إيمانه الى الرحمة بجاره
 الذى أوصى به الله ورسوله فتركه له طاويا من الجوع دليل على عدم امثاله
 وبرهانه على قساوة قلبه لأنه اذا لم يكثرث بجاره ولم يسأل عنه فمع البعيد
 أولى وان فعل فانه لا يريد وجه الله وعمله ليس من الايمان ، وفي هذا
 الحديث دلالة واضحة على أن الايمان ليس عبارة عن مجرد التصديق بل لابد
 من العمل لأنه اذا لم يعمل يدل على أنه مستهزئ بهذا التصديق الذى زعمه
 ولو قلنا انه ليس انسانا لما كان بالأمر المنكر لأنه محروم من الشفقة التى
 تجب على الحيوانات غير الناطقة فكيف بأخيه المسلم والانسان الذى يجمعه
 وإياه نسب واب واحد هو آدم عليه السلام .

(٣) وبعد اتصافهم بهذه المزية العالية وتحققهم في الدين وبذلهم الارواح
 والاموال والابناء الى هذه الدرجة لأشبهه بالحديث الذى رواه البخارى عن

عند النبي صلى الله عليه وسلم يضيفه فلم يجد عنده إلا قوت صيانه فاحتال هو وامرأته حتى نوما صيانهما وقام الى السراج فانه يصلحه فاطفأه ثم جلس مع الضيف يريه أنه يأكل معه ولم يأكل فلما غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : عجب الله من صنعكما الليلة ونزلت هذه الآية

وكان كثير من السلف يؤثر بفقوره غيره وهو صائم ويصبح صائماً، منهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . وداود الطائي . وعبد العزيز بن سليمان . ومالك بن دينار . وأحمد بن حنبل . وغيرهم ، وكان ابن عمر لا يفطر الا مع اليتامى والمساكين (١) وربما علم أن أهله قد ردوهم عنه فلم يفطر تلك الليلة ،

البراء بن عازب « الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن ابغضهم ابغضه الله » ورواه بسند آخر عن انس « آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار ، وذلك لتمسكهم في الدين تمسكاً حقيقياً خالصاً لوجه الله تعالى قد عملوا بكل ما علموا وفهموا معنى الاسلام لما اراد الله فشرعوا يؤثرون على انفسهم لاعتبارهم اخوانهم ارجح من انفسهم واحق منهم بالحياة وهذا هو السر الذي جعل الاسلام ينتشر بسرعة ويقهر كل ملوك العالم وسلاطينه ، ولما كانت الانصار هي التي نفذت هذا الامر استحققت ما مدحها به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه البخارى في باب مناقب الانصار لو ان الانصار سلكوا واديا وشعبا لساكت وادى الانصار ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار » والله اعلم *

(١) ليمرن غيره على الخضوع والتواضع ويبين ان الناس متساوون في كل شيء غير التقوى والعمل الصالح ولكن لا يحتقر الرجل لصغر سنه أو فقره فانه عبد لله والله يؤتى الفضل من يشاء وان الفضل هو في اخلاص العمل لله تعالى *

وممنهم من كان لا يأكل الا مع ضيف له قال ابو السوار العدوي: كان رجال من بنى عدى يصلون في هذا المسجد ما أفطر احد منهم على طعام قط وحده ان وجد من يأكل معه أكل والا اخرج طعامه الى المسجد فأكله مع الناس وأكل الناس معه ، وكان منهم من يطعم اخوانه الطعام وهو صائم ويجلس يخدمهم ويروحهم ، منهم الحسن . وابن المبارك ، وكان ابن المبارك ربما يشتهي الشيء فلا يصنعه الا لضيف ينزل به فيأكله مع ضيفه ، وكان كثير منهم يفضل اطعام الاخوان على الصدقة على المساكين ، وقد روى هذا المعنى مرفوعا من حديث انس باسناد ضعيف ولا سيما ان كان الاخوان لا يجدون مثل ذلك الطعام كان بعضهم يعمل الاطعمة الفاخرة ثم يطعمها اخوانه الفقراء ويقول : انهم لا يجدونها ، وبعضهم يصنع له طعاما ولا يأكل ويقول اني لا اشتبهه وانما صنعته لاجلكم ، وبعضهم اتخذ حلوة فاطعمها المعتوه فقال له أهله ان هذا لا يدرى ما يأكل فقال لكن الله يدرى .

واشتهى الربيع بن خيثم حلواء فلما صنعت له دعا بالفقراء فاكلوا فقال له أهله اتعبتنا ولم تاكل فقال ومن أكله غيري (١) وقال آخر منهم وجرى له نحو من ذلك : اذا أكلته كان في الحش واذا اطعمته كان الله مدخورا .

وروى عن علي قال : لأن أجمع أناسا من اخواني على صاع من طعام أحب الى من ان أدخل سوقكم هذه فأبتاع نسمة فأعتقها وعن أبي جعفر محمد بن علي قال لان أدعو عشرة من أصحابي فاطعمهم طعاما يشتهونه أحب الى من أن أعتق عشرة من ولد اسماعيل . * أوصف الايثار لمن يبخل باداء

(١) لانه باق لا يفنى محفوظ عند الله تعالى وما عند الله خير وابقى . *

الحقوق الواجبة عليه أأطلب الشجاعة من الجبان وأستشهد على رؤية الهلال
من هو من جملة العميان كم بين من قيل فيه : (فلما آتاهم من فضله بخلوا
به) وبين من قيل فيه : (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة)
بيننا وبين القوم كما بين اليقظة والنوم *

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح اذا مشى كالمقعد

فيا من يطمع في علو الدرجات من غير عمل صالح هيهات هيهات (أم
حسب الذين اجتروحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات)
نزلوا بمكة في قبائل نوفل ونزلت بالبدياء أبعد منزل (١)

(الفصل الثالث) من الدرجات ابن الكلام وفي رواية « إفشاء السلام »
وهو داخل في لين الكلام وقد قال الله عز وجل : (وقولوا للناس حسنا)
وقال تعالى : (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) وقال تعالى : (ادفع بالتي
هي أحسن السيئة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها
الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) وقال تعالى : (وجادلهم بالتي
هي أحسن) وقال تعالى : (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين
ظلموا منهم) ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحج المبرور ليس له
جزاء الا الجنة قالوا له وما الحج المبرور يا رسول الله ؟ قال : اطعام الطعام
ولين الكلام » خرج الامام أحمد وقد تقدم في ذكر اطعام الطعام أحاديث
أخر في طيب الكلام وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
« والكلمة الطيبة صدقة » وفيه أيضا « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد
فبكلمة طيبة » *

واما كون إفشاء السلام من موجبات الجنة ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام فيما بينكم » (١) وخرج أبو داود من حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أولى الناس بالله تعالى من بدأهم بالسلام » (٢) ويروى من حديث ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً « إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم بالسلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملاً خيراً منهم وأطيب » .

وقد روى من حديث عمران بن حصين وغيره « أن رجلاً دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم فقال : النبي ﷺ عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال رسول الله ﷺ عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال رسول الله ﷺ ثلاثون » خرجه الترمذى وغيره وخرجه أبو داود وزاد « ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فقال النبي ﷺ أربعون ثم قال هكذا تكون الفضائل » وقد سبق حديث أن

(١) اشرنا الى ذلك فى صفحة (٣٥) من ان السلام يجر الى الكلام فالتعارف فالتحابب وهذا هو مقصود الشارع ولذلك جاء فى الحديث الذى رواه الترمذى عن معاذ « قال الله تعالى : المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغطهم النبيون والشهداء » .

(٢) اى لانه ادل على انه اكثر تواضعاً من اخيه وان عنده من حسن الخلق ما جعله يهدى السلام لـ اخيه نافعاً عن نفسه الكبرياء وما يسوق اليها من الاثرة والغطرسة ، والحديث سكت عنه المنذرى قال الطيبي : اى اقرب الناس من المتلاقيين الى رحمة الله تعالى من بدأ بالسلام .

تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف (١) وفي حديث ابن مسعود مرفوعاً « من أشرط الساعة السلام بالمعرفة » (٢) خرج الامام أحمد هـ وانما جمع بين اطعام الطعام ولين الكلام ليكمل بذلك الاحسان الى الخلق بالقول والفعل فلا يتم الاحسان باطعام الطعام الا بلين الكلام وافشاء السلام فان أساء بالقول بطل الاحسان بالفعل من الاطعام وغيره

(١) لانه برهان ساطع على اخلاص الرجل وانه يريد بسلامه وجه الله تعالى لم تدفعه المعرفة بسابق طمع أورهة وانما غايته التعارف الاسلامي فان هذه الكلمة علامة خاصة للاسلام ومن خير الوسائل للمعرفة التي جاءت كثير من الفروض الاسلامية مقوية لها وطالبة بها التشارها بين المسلمين خشية من وصولهم الى حالتهم اليوم حيث أصبحوا يحملون بعضهم ولا يعرفون ما يجري في محل اقامتهم وقد بلغ من بعضهم انه لا يدري الا بما في داره أو ما يصادفه في الطريق عن عرض ظنا منه أن هذا ورع أو أنه عبادة مع أن الدين أن تعرف اخوانك المسلمين في الأقطار كافة وتجتهد في التعارف معهم وان لم تعرفهم بمسائل مادية أو علاقة نفسية فان علاقة الدين خير علاقة ونسبه أشرف الانساب واخوته هي الاخوة الحقيقية المقصودة (٢) لأنه لا يريد أن يعترف باسلام شخص لا علاقة له مادية وقد وقع هذا في هذا العصر ولا سيما في مصر حتى أن علماء الدين أنفسهم لا يسلمون الا على من يعرفونه ولا شك أن هذا دليل انقطاع وسبب من أسباب تخاذل المسلمين الى أن صاروا مستعبدين في الأرض لآحول لهم ولا طول بالنسبة لقوة أعدائهم اليوم والذين كانوا تحت سيطرة ونفوذ أسلافهم وكل هذا هدم اهتمامهم بمثل هذه الدقائق التي تطلبها الشريعة بشدة وإلحاح وما تغني الآيات والنذر ؟ إنا لله وإنا اليه راجعون

كما قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والأذى) .
 وربما كان معاملة الناس بالقول الحسن أحب إليهم من إطعام الطعام
 والاحسان بإعطاء المال (١) كما قال لقمان لابنه : يا بني لأن تكن كلمتك طيبة ووجهك
 منبسطا تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة ، وقد كان النبي
 ﷺ يلين القول حتى لمن يشهد له بالشرف فينتفي بذلك شره ، وكان ﷺ
 لا يواجه أحدا بما يكره في وجهه ولم يكن ﷺ فاشا ولا متفحشا ،
 وروى عن ابن عمر أنه كان ينشد :

بنو البر شيء هين وجهه طليق وكلام لين
 ولبعضهم خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين
 ولن في الكلام لكل الأنام فستحسن من ذوى الجاه لين

وقد وصف الله عز وجل في كتابه أهل الجنة بمعاملة الخلق بالاحسان
 بالمال واحتمال الأذى فقال تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة
 عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء
 والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) فالانفاق في
 السراء والضراء يقتضى غاية الاحسان بالمال من الكثرة والقلة ، وكظم
 الغيظ والعفو عن الناس يقتضى عدم المقابلة على السيئة من قول وفعل وذلك
 يتضمن إلانة القول واجتناب الفحش والاغلاظ في المقال ولو كان مباحا ،
 وهذا نهاية الاحسان فلمذا قال تعالى : (والله يحب المحسنين) .

(١) وذلك لأن القول الحسن غذاء للروح وإطعام الطعام غذاء
 للجسد ولا شك أن الناس متفاوتون ومختلفون فكل فريق يرجع طرفا
 فمنهم من يرجع مصلحة الروح ، ومنهم من يرجع فائدة الجسد المادية والكل
 وجهة هو مولها نسأل الله التوفيق

ومن هذا قول بعضهم وقد سئل عن حسن الخلق فقال : بذل الندى وكف الأذى وهذا الوصف المذكور في القرآن أكمل من هذا لأنه وصفهم ببذل الندى واحتمال الأذى ، وحسن الخلق يبلغ به العبد درجات المجتهدين في العبادة كما قال النبي ﷺ : « ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم النهار القائم الليل » ، (١) وروى بعض السلف في المنام فسئل عن بعض اخوانه الصالحين فقال : وأين ذلك رفع في الجنة بحسن خلقه . وما يندب الى إلانة القول فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وان يكون برفق لما قال تعالى : في حق الكفار (وجادلهم بالتى هي أحسن) قال بعض السلف : ما أغضبت أحداً فقبل منك (٢) وكان أصحاب ابن مسعود اذا رأوا قوما على ما يكره يقولون لهم مهلاً مهلاً بارك الله فيكم . ورأى بعض التابعين رجلاً واقفاً مع امرأة فقال لها : « ان الله يراكما سترنا الله وإياكما » ودعى الحسن الى دعوة فجاء بآنية فضة فيها حلواء فآخذ الحسن الحلواء فقلبها على رغيف وأكل منها فقال بعض من حضر هذا نهى في سكون ، ورأى الفضيل رجلاً يعبت في صلاته فزبره فقال له الرجل : يا هذا ينبغي لمن يقوم لله أن يكون ذليلاً فبكى الفضيل وقال له صدقت ،

(١) بل أن الله تعالى مدح رسوله ﷺ بقوله : (وانك لعلى خلق عظيم) ولا شك أن الله مدحه به لأنه أشرف المراتب وأسمى الدرجات وبه بلغ الانسان الى كل خير وغاية شريفة ومطلب مقدس

(٢) لأنها فرصة يستفيد بها الهوى والشيطان فيسوقه الى العناد والاصرار على الخطأ والسير في الضلالة فتكون سبباً في أذيته من حيث أنك أردت منفعته ودفعاً لوقوع مثل هذا الذي يكثر حصوله عادة أمرنا الله بقوله : (وجادلهم بالتى هي أحسن)

قال شعيب بن حرب : ربما مرّ سفيان الثوري يقوم يلعبون بالشطرنج فيقول ما يصنع هؤلاء ؟ فيقال له يا أبا عبد الله ينظرون في كتاب فيطاطىء رأسه ويمضى وإنما يريد بذلك ليعلم أنه قد أنكره . وقال سفيان لا يأمرك بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث . رفيق بما يأمرك . رفيق بما ينهى . عدل بما يأمرك . عدل بما ينهى . عالم بما يأمرك . عالم بما ينهى * وقال الامام أحمد الناس يحتاجون الى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجلاً معلناً بالفسق فإنه لا صبر عليه (١) وكان كثير من السلف لا يأمرك بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا سراً فيما بينه وبين من يأمركه وينهاه (٢) وقال أبو الدرداء : من وعظ أخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه * وكذلك مقابلة الأذى بالآفة القول كما قال تعالى : (ادفع بالنى هي أحسن السيئة) وقال تعالى : (ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) قال بعض السلف : هو الرجل يسبه الرجل فيقول له ان كنت صادقاً فغفر الله لي وان كنت كاذباً فغفر الله لك قال رجل لسالم بن عبد الله وقد زحمت راحلته في سفر : ما أراك إلا رجلاً سوء فقال له سالم : ما أراك أبعدت ، وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرأتى قال متى عرفت اسمي ؟ ما عرفه أحد من أهل البصرة غيرك ، ومر بعضهم على صبيان يلعبون بجوز فوطىء على

(١) وفي نسخة فإنه لا حرمة له

(٢) لينفذ قوله الى أعماق قلبه وهذا دليل على أن الناصح غاية النصيحة وان يعدل عن غيه الى طريق الصواب لهذا يكلمه سرا وغالب الذين يظهرون القسوة والغلظة عند النهي يريدون أن يظهروا فضلهم أو علمهم أو تقواهم أو أنهم يحسنون القول وهذا نوع من الرياء حفظنا الله منه ، وجماع هذا ما قاله أبو الدرداء رضى الله عنه بعد هذه العبارة

بعض الجوز بغير اختياره فكسره فقال له الصبي يا شيخ النار فجلس الشيخ يبكي ويقول ما عرفني غيره ، ومر بعضهم مع أصحابه في طريق فرموا عليهم رمادا فقال الشيخ لأصحابه من يستحق النار فصالحوه على الرماد يعني فهو رابح ، ورأى جندي ابراهيم بن أدهم خارج البلد فساله عن العمران فإشار له الى القبور فضرب رأسه ومضى فقيل له انه ابراهيم بن أدهم فرجع يعتذر اليه فقال له ابراهيم الرأس الذي يحتاج الى اعتذارك تركته يبلخ ، ومر به جندي آخر وهو ينظر بستانا لقوم باجرة فساله أن يناوله شيئا فلم يفعل وقال ان أصحابه لم يائذنوا في ذلك فضرب رأسه فجعل ابراهيم يطأ طئه رأسه وهو يقول اضرب رأسا طالما عصى الله ۞

من أجلك قد جعلت خدي أرضا للشامت والحسود حتى ترضى
 ﴿ الثالث من الدرجات ﴾ الصلاة بالليل والناس نيام فالصلاة بالليل من موجبات الجنة كما سبق ذكره في غير حديث وقد دل عليه قوله عز وجل (إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) فوصفهم بالتيقظ بالليل والاستغفار بالأسحار وبالانفاق من أموالهم ۞

كان بعض السلف نائما فأتاه آت في منامه فقال له قم فصل أما علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل هم خزائنها وقيام الليل يوجب علو الدرجات في الجنة قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) فجعل جزاءه على التهجد بالقرآن بالليل أن يبعثه المقام المحمود وهو أعلى درجاته صلى الله عليه وسلم ۞ قال عون بن عبد الله ان الله يدخل الجنة أقواما فيعطيهن حتى يملوا وفوقهم ناس

في الدرجات العلى فلما نظروا اليهم عرفوهم (١) فقالوا ربنا اخواننا كنا معهم فبم
فضلتهم علينا؟ فيقول هيئات هيئات انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويظمئون
حين تروون ويقومون حين تنامون ويشخصون حين تحفضون ، ويوجب
ايضا نعيم الجنة ما لم يطلع عليه العباد في الدنيا قال الله عز وجل : (تتجافى جنوبهم عن
المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وما مرزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى
لهم من قرۃ أعين جزاء بما كانوا يعملون) وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال
يقول الله عز وجل : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر اقرءوا ان شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرۃ
أعين جزاء بما كانوا يعملون) » قال بعض السلف : أخفوا لله العمل فأخفى الله
لهم الجزاء فلو قدموا عليه لأقر تلك الاعين عنده *

وما يحزى به المتهمدين في الليل كثرة الأزواج من الحور العين في الجنة
فان المتهمد قد ترك لذة النوم بالليل ولذة التمتع بازواجه طلبا لما عند الله عز
وجل فعرضه الله تعالى خيرا مما تركه وهو الحور العين في الجنة ، ومن هنا
قال بعضهم : طول التهمد مهوور الحور العين في الجنة ، وكان بعض السلف
يحجى الليل بالصلاة ففتر عن ذلك فأتاه آت في منامه فقال له قد كنت
يا فلان تدأب في الخطبة فما الذي قصر بك عن ذلك ؟ قال وما ذلك ؟ قال
كنت تقوم من الليل أو ما علمت أن المتهمد اذا قام الى التهمد قالت الملائكة
قد قام الخاطب الى خطبته ه

ورأى بعضهم في منامه امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقال لها : من
أنت ؟ قالت حوراء أمة الله فقال لها زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي
وامهرني قال وما مهرك ؟ قالت طول التهمد ، قام بعض المتهمدين ذات ليلة فرأى

في منامه حوراء تنشد :

أخطب مثلي وعني تنام ونوم المحبين عنا حرام
لأننا خلقنا لكل امرئ كثير الصلاة براه الصيام^(١)
وكان لبعض السلف ورد من الليل فنام عنه ليلة فرأى في منامه جارية
كان وجهها القمر (٢) ومعها رق فيه كتاب فقالت: أنقرا؟ قال: نعم فأعطته إياه
ففتحه فإذا فيه مكتوب .

اتلمو بالكري عن طيب عيش مع الخيرات في غرف الجنان
تعيش مخلدا لاموت فيه وتنعم في الجنان مع الحسان
تيقظ من منامك ان خيرا من النوم التهجد بالقران
فاستيقظ قال: فوالله ما ذكرتها الا ذهب عني النوم .
كان بعض الصالحين له ورد فنام عنه فوقف عليه فتى في منامه فقال له
بصوت محزون :

تيقظ لساعات من الليل يا فتى لعلك تحظى في الجنان بحورها
فتنعم في دار يدوم نعيمها محمد فيها والخليل يزورها
فقم فتيقظ ساعة بعد ساعة عساك توفي ما بقى من مهرورها
كان بعض الساف الصالحين كثير التعبد فبكى شوقا الى الله عز وجل
ستين سنة فرأى في منامه كأنه على ضفة نهر يجري بالمسك حافتاه شجر
لؤلؤ ونبت من قضبان الذهب فإذا بجوار مزيئات يقلن بصوت واحدة:
سبحان المسبح بكل لسان سبحانه . سبحان الموحد بكل مكان سبحانه . سبحان
الدائم في كل الأزمان سبحانه . فقال لهن: ما تصنعن ههنا؟ فقلن :
برانا إله الناس رب محمد لقوم على الاقدام بالليل قوم

(١) اي انمله واهزله (٢) في النسخة النجدية (كانقمر)

يناجون رب العالمين إلههم وتسرى هموم القوم والناس نوم
 فقال: يخ يخ هؤلاء من هم لقد أقر الله أعينهم بكن فقلن: أو ما تعرفهم؟
 قال: لا فقلن: بلى هؤلاء المتعبدون أصحاب القرآن والسهر
 وكان بعض الصالحين ربما نام في تهجده فتوقفه الحوراء في منامه فيستيقظ
 بإيقاظها، وروى عن أبي سليمان الداراني أنه قال: ذهب بي النوم ذات ليلة في صلاتي
 فاذا بها - يعني الحوراء - تنبهني وتقول: يا أبا سليمان أترقد وأنا أربي لك في
 الخدر (١) منذ خمسمائة سنة؟ وفي رواية عنه أنه نام ليلة في سجوده قال:
 فاذا بها قد ركضتني برجلها وقالت: حبيبى أترقد عيناك والمملك يقظان ينظر
 الى المتعبدين في تهجدهم بؤسا لعين آثرت لذة نوم على مناجاة العزيز قم
 فقد دنا الفراغ ولقى المحبون بعضهم بعضا فما هذا الرقاد يا حبيبى وقرة عيني؟
 أترقد عيناك وأنا أربي لك في الخدر منذ خمسمائة عام؟ فوثب فرعا وقد عرق
 من توبيخها له قال: وإن حلاوة منطقة لفي سمعى وقلبي
 وكان أبو سليمان يقول: اهل الليل في ليالهم ألد من اهل اللهم في لهوهم (٢)

(١) وفي نسخة في الخدر كما سيأتى قريبا
 (٢) وذلك لأن اهل الليل طامعون في مرضاة الله تعالى وهو دائم
 لا يزول ولا يفنى لا تخفى عليه خافية مما يعلنون وما يسرون فهم متيقنون أن
 كل ما اضمرته نفوسهم أو عملته جوارحهم ولم يطلع عليه أحد سواهم فالله
 عالم به وخبير بمكانهم ومناجاتهم وقد نسوا الجسد وأقبلوا على تصفية الروح
 وتخليصها من الأكدار فهاموا بنور المعرفة وثملوا من رحيق الوصول
 الذى كافأهم ربهم به على عباداتهم فلا بدع أن يكونوا ألد من اهل اللهو
 الذين لذتهم بدوام مدة اللهو ولا يجهل أحد قصرها وما ينجم عنها من الندم
 والعرض على الأصبع والمشاجرة والنزاع والخصام وأن تسنى للالهى أن

ولولا الليل ما احبت البقاء في الدنيا ، وقال يزيد الرقاشي لحبيب العجمي :
 ما أعلم شيئا اقر لعيون العابدين في الدنيا من التهجد في ظلمة الليل وما أعلم
 شيئا من نعيم الجنان وسرورها الذ عند العابدين ولا اقر لعيونهم من النظر
 الى ذى الكبرياء العظيم اذا رفعت تلك الحجب وتجلي لهم الكريم فصاح
 حبيب عند ذلك وخر مغشيا عليه . وكان السري يقول : رأيت الفوائد
 ترد في ظلام الليل . وقال أبو سليمان : اذا جن الليل وخلا كل محب بحبيبه
 افترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم أشرف الجليل
 جل جلاله فنادى يا جبريل بعني من تلذذ بكلامي واستروح الى مناجاتي
 ناد فيهم يا جبريل ما هذا البكاء هل رأيتم حبيبا يعذب أحباؤه أم كيف
 يجعل بي أن اعذب قرما اذا جنهم الليل تملقوني؟ في حلفت اذا قدموا على
 يوم القيامة لا كشفن لهم عن وجهي ينظرون الى وأنظر اليهم . (١)

وسئل الحسن البصري لم كان المتهمجدون أحسن الناس وجوها؟ قال :
 لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره ، رأت امرأة من الصالحات
 في منامها كأن حللا قد فرقت على أهل مسجد محمد بن جحادة فلما انتهى
 الذي يفرقها اليه دعا بسفط مختوم فاخرج منه حلة صفراء قالت : فلم يقم

ينال في لحظة لذة فلا يستفيد منها الا جسده وأما الروح فاما في سجن
 ضيق وكرب عظيم لما تدري ان النتيجة هي خسران في الدنيا وعذاب في
 الآخرة فينادى لسان حالها طوبى للعباد لذة في الدنيا ونعيم في عقابهم
 ورضاء سيدهم ومولاهم ذى الجلال والاكرام عليهم

(١) واليه الاشارة في قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)
 وفسره كثير من أهل العلم بانه عبارة عن الرؤية والنظر كما فسروا قوله
 تعالى : (ورضوان من الله أكبر)

لها بصرى فكساه إياها وقال : هذه لك بطول النهار قالت : فوالله لقد كنت أراهم - تعنى محمد بن جحادة - بعد ذلك فأتخايلها عليه - تعنى تلك الحلة -
قال كرز بن وبرة : بلغنى أن كعبا قال : ان الملائكة ينظرون من السماء إلى الذين يتعبدون بالليل كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء .

يا نفس فاز الصالحون بالتقى وأبصروا الحق وقلوبى قد عمى
يا حسنهم والليل قد أجهم ونورهم يفوق نور الانجم
ترنموا بالذكر فى ليالهم فعيشهم قد طاب بالترنم
قلوبهم للذكر قد تفرغت دموعهم كالؤلؤ منظم
أسحارهم بهم لم قد أشرقت وخلع الغفران خير المقسم
فى بعض الآثار يقول الله عز وجل كل ليلة : يا جبريل أقم فلانا
وأنم فلانا . قام بعض الصالحين فى ليلة باردة وكان عليه خلقان رثة فضربه
البرد فبكى فسمع ما أتفا يقول : أقمناك وأنمناهم ثم تبكى علينا .

تنبهوا يا أهل وادى المنحنى كم ذا الكرى هب نسيم وجدى
كم بين خال وجو وساهر وراقد وكأتم ومعبدى
قيل لابن مسعود ما نستطيع قيام الليل قال أبعدتكم ذنوبكم . وقيل
للحسن أعجزنا قيام الليل قال : قيدتكم خطاياكم إنما يؤهل الملوك للخلوة
بهم ومخاطبتهم من يخلص فى ودادهم ومعاملتهم فأما من كان من أهل
مخالفتهم فلا يرضونه لذلك .

الليل لى ولا حبابى أحادثهم قد اصطفتهم كى يسمعوا ويعوا
لهم قلوب بأسرارها ملئت على ودادى وارشادى لهم طبعوا
قد أثمرت شجرات الفهم عندهم فما جنوا إذ جنوا بما به ارتفعوا
سروا فأوهوا عجزا وما ضعفوا وواصلوا حبل تقريبى فما انقطعوا

(الفصل الثالث) في ذكر الدعوات المذكورة في هذا الحديث وهي
 «اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن
 تغفرلى وترحمنى واذا أردت (١) بقوم فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون
 واسألك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذى يبلغنى حبك فقال
 النبى ﷺ : تعلموهن وادرسوهن فانهن حق » هذا دعاء عظيم من أجمع
 الأدعية وأكملها فقوله صلى الله عليه وسلم : « أسألك فعل الخيرات

(١) - واذا أردت بقوم فتنة - فتوفنى غير مفتون هذه الفقرة من جوامع
 الأدعية وفيها الخير العظيم لمن أمعن النظر بدقائقها وذلك لأنها برهان
 ساطع على صحة ايمان الذى دعا بها وذلك لأنه رضى بذهاب الروح من
 جسده وقدمها ضحية وقربانا ليتخلص من فتنة قد تكون سببا لعذاب دائم
 فلو لا انه مؤمن حقا لما فادى بحياته واختار الموت فهو مؤمن بالله واليوم
 الآخر والعذاب والنعيم وبلغت منه الخشية ان يختار الموت على عيشة
 ممزوجة بالفتنة علما ان التبار لا يمكن الوقوف امامه فاذا حصل بقوم فتنة
 فانه يعلم ان قيامه فى وجه هذه الفتنة قد لا يجديه نفعا اذا سرى مرضها فى
 النفوس واشتد غضب الله عليهم ولذلك استعد للامر قبل وقوعه ونهيا
 للشدة قبل حصولها فدعا من ربه القادر وحده على تخليصه من هذه المصيبة كي
 لا تصيبه نار الفتنة فلا يختار الدنيا على الآخرة بل لا يرضى ان يعرض نفسه
 لاخطار النعمة الالهية فما أشد ايمانه وما أخلصه لربه وما احسن اعتقاده.
 فهم الحياة الدنيا وأدرك معنى آية (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) لهذا
 اختار الموت قبل أن تقع الفتنة حيث يقول واذا أردت كي لا يتلوث من
 أوساخها فيموت غير مفتون ليسكن الجنة عرضها السموات والارض
 أعدت للمتقين .

وترك المنكرات « يتضمن طلب كل خير وترك كل شر فان الخيرات تجمع كل ما يحبه الله تعالى ويقرب منه من الاعمال والاقوال من الواجبات والمستحبات ، والمنكرات تشمل كل ما يكرهه الله تعالى ويباعد عنه من الاقوال والاعمال فمن حصل له هذا المطلوب حصل له خير الدنيا والآخرة ، » وقد كان النبي ﷺ يحب مثل هذه الادعية الجامعة قالت عائشة : كان النبي ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك .
خرجه أبو داود •

وقوله : وحب المساكين هذا قد يقال انه من جملة فعل الخيرات وانما أفرد بالذكر لشرفه وقوة الاهتمام به كما أفرد ايضا ذكر حب الله تعالى وحب من يحبه وحب عمل يبلغه الى حبه وذلك أصل فعل الخيرات كلها ، وقد يقال انه طلب من الله عز وجل أن يرزقه أعمال الطاعات بالجوارح وترك المنكرات بالجوارح وأن يرزقه ما يوجب له ذلك وهو حبه وحب من يحبه وحب عمل يبلغه حبه فهذه المحبة بالقلب موجبة لفعل الخيرات بالجوارح وترك المنكرات بالجوارح وسأل الله تعالى أن يرزقه المحبة فيه فقد تضمن هذا الدعاء سؤال حب الله عز وجل وحب أحبائه (١) وحب الأعمال التي تقرب من حبه والحب فيه وذلك يقتضى فعل الخيرات كلها ويتضمن

(١) ليستفيد من اعمالهم وأطوارهم مشاهدة ويعلمونه بحالهم ولا يحرم من الرحمة التي تنزل على أحبائه ولا تنقطع عنهم لأن سنة الله في خلقه أن المرء يقلد من تكثر مخالطته له بشعور وبغير شعور واردة ، ولهذا يقول طرفة بن العبد الجاهلي :

عن المرء لاتسال وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
ولاشك انه لا غاية له من حب أحباب الله تعالى : إلا ليقتنى بهم

ترك المنكرات والسلامة من الفتن، وذلك يتضمن اجتناب الشر كله فجمع هذا الدعاء طلب خير الدنيا وتضمن سؤال المغفرة والرحمة وذلك يجمع خيرا الآخرة كله فجمع هذا الدعاء خيري الدنيا والآخرة .

والمقصود ان حب المساكين أصل الحب في الله تعالى لأن المساكين ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله فلا يحبون الا الله عز وجل والحب في الله من أوثق عرى الايمان ومن علامات ذوق حلاوة الايمان وهو صريح الايمان وهو أفضل الايمان، وهذا كله مروي عنه النبي ﷺ أنه وصف به الحب في الله تعالى ، وروى عن ابن عباس أنه قال : « به تنال ولاية الله وبه يوجد طعم الايمان » وحب المساكين قد أوصى به النبي ﷺ غير واحد من أصحابه قال أبوذر : أوصاني رسول الله ﷺ أن أحب المساكين وان أدنو منهم - خرج الامام أحمد ، وخرج الترمذي عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها : « يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيامة » . ويروى أن داود عليه السلام كان يجالس المساكين ويقول يارب مسكين بين مساكين * .

وينتظم في سلكهم اذ لولا رضاؤه عن حركتهم واستحسانه خطتهم لما طلب من الله أن يخرطه في عدادهم ولا شك أنه بطلبه حبهم يعني بذلك حب الله تعالى وليكونوا عوناً له على ذلك فقد قال تعالى عن لسان موسى عليه السلام : (واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخى أشدد به أزرى وأشر به في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً) وقال تعالى في آية أخرى : (سنشد عضدك بأخيك) فما غاية الحب الا التعاون على عبادة الله وليكونوا رفقاءه في السير الى الله لأن الذئب لا يأكل من الغنم الا القاصية قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى)

ولم يزل السلف الصالح يوصون بحب المساكين - كتب سفيان الثوري الى بعض اخوانه - عليك بالفقراء والمساكين والدنو منهم فان رسول الله ﷺ كان يسأل ربه حب المساكين وحب المساكين مستلزم لاخلاص العمل لله تعالى والاخلاص هو أساس الاعمال الذي لا تثبت الاعمال الا عليه فان حب المساكين يقتضى اسداء النفع اليهم بما يمكن من منافع الدين والدنيا فاذا حصل اسداء النفع اليهم حبالهم والاحسان اليهم كان هذا العمل خالصا وقد دل القرآن على ذلك قال الله تعالى : (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) وقال عز وجل : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) وقال تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) *

قال سعد بن أبي وقاص : نزلت هذه الآية في ستة في . وفي ابن مسعود . وصهيب . وعمار : والمقداد . وبلال . قالت قریش لرسول الله ﷺ : انا لا نرضى أن نكون أتباعا لهم فاطردهم عنك فانزل الله عز وجل : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) الآية *

وقال خباب بن الارت في هذه الآية ه جاء الاقرع بن حابس . وعيينة بن حصن فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وعمار وبلال وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم فأتوه فخلعوا به وقالوا انا نريد ان نجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فتستحي

أن ترايا مع هؤلاء الأعباء فإذا نحن جئناك فأفهم عنك فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال: نعم قالوا: فاكتب لنا عليك كتابا قال: فعدا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام فقال: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فطردهم فتكون من الظالمين) ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال: (وذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) ثم قال: (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) قال: فدونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبتيه وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله عز وجل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم) ولا تجالس الأشراف (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) يعني عيينة . والأقرع قال خباب: فكنا نقعد مع النبي ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي يقوم قنا وتركناه حتى يقوم، خرج ابن ماجه . وغيره .

وكان النبي ﷺ يعود المرضى من مساكين أهل المدينة ويشيع جنازتهم . وكان لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين حتى يقضى حاجتهما وعلى هذا الهدى كان أصحابه من بعده والتابعون لهم بإحسان .

وروى عن أبي هريرة قال : كان جعفر بن أبي طالب يحب المساكين . ويجلس اليهم ويحدثهم ويحدثونه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكنيه أبا المساكين ، وفي رواية أنه كان يطعمهم وربما أخرج لهم عكة (١) فيها العسل .

(١) - هي بضم العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة - وعاء من جلود .

مستدير يختص بالسمن والعسل وهو بالسمن اخص .

فشقوها ولعقوها، وكانت زينب بنت خزيمة أم المؤمنين تسمى أم المساكين
للكثرة احسانها اليهم وتوفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وقال ضرار
ابن مرة في وصف علي بن أبي طالب في أيام خلافته : كان يعظم أهل الدين
ويحب المساكين ، ومرض ابنه الحسن رضى الله عنهما على مساكين يأطون
خدعوه فأجابهم وأكل معهم وتلا (انه لا يحب المستكبرين) ثم دعاهم الى
منزله فأطعمهم وأكرهم ، وكان ابن عمر لا يأكل غالبا الا مع المساكين
وكان يقول لعل بعض هؤلاء أن يكون ملكا يوم القيامة ، وجاء مسكين
لأعشى الى ابن مسعود وقد ازدحم الناس عنده فناده يا أبا عبد الرحمن آويت
أرباب الخز والتمية (١) واقصيتني لأجل أني مسكين فقال له : أدنه فلم يرل يدينه
حتى أجلسه الى جانبه أو يقربه ، وكان مطرف بن عبد الله يلبس الثياب الحسنة
ثم يأتي المساكين ويجالسهم ، وكان سفيان الثوري يعظم المساكين ويحفو أهل
الدنيا فكان الفقراء في مجلسه هم الأغنياء والأغنياء هم الفقراء ، وقال سليمان
التيمي كنا اذا طلبنا عليه أصحابنا (٢) وجدناهم عند الفقراء والمساكين .
وقال الفضيل : من أراد عز الآخرة فليكن مجلسه مع المساكين ،
ومن فضائل المساكين أنهم أكثر أهل الجنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين » وقال صلى الله عليه
وسلم : « تحاجت الجنة والنار فقالت الجنة لا يدخلني الا الضعفاء والمساكين »
وسئل النبي ﷺ عن أهل الجنة فقال : « كل ضعيف مستضعف » وهم
أول الناس دخولا الجنة كما صح عنه ﷺ « أن الفقراء يسبقون الأغنياء
الى الجنة بأربعين عاما - وفي رواية - أنهم يدخلون الجنة بنصف يوم وهو
خمسائة سنة » وهم أول الناس اجازة على الصراط ، كما صح عنه ﷺ

(١) كذا في جميع الاصول والمعنى ظاهر من السياق (٢) اي اجلة .

« أنه سئل من أول الناس اجازة على الصراط فقال : « فقراء المهاجرين »
 وهم أول الناس ورودا على الحوض كما قال صلى الله عليه وسلم : « أول
 الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الدنسة رءوسهم الشعثة ثيابهم الذين
 لا ينسجون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد » (١) وهم اتباع الرسل كما أخبر
 الله تعالى عن نوح عليه السلام أن قومه عيروه باتباع الضعفاء له فقالوا :
 (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) وكذلك قال هرقل لأبي سفيان لما سأله
 عن النبي ﷺ : وهل يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟ فقال : بل ضعفاؤهم
 قال هرقل : هم اتباع الرسل وهم أفضل من الأغنياء عند كثير من العلماء

(١) السدد جمع السدة وهي الباب أى لا تفتح لهم الابواب لاحتقار
 الناس لهم ظنا منهم أن الانسان بزيه أو بلباسه أو بقيافته بل ليس الانسان
 هذا الهيكل المحتوى على اللحم والدم والعصب والعظام لانه يساويه فيه
 بقية الحيوان بل قد يزيد عليه جسامه وقوة كالفيل والأسد وانما الانسان
 بروحه تلك الجوهر اللطيف الذى يتمركز بهذا الهيكل الصورى فانه
 الذى يستحق التعظيم والتبجيل والاهانة والتحقير بل لو انصف من وقف
 على مبادئ علم النفس لعلم أن الانسان عبارة عن مجموعة فضائل حلت
 فى هذا الجسد وانما الذى انشأ مانراه من الاعمال الشريرة فهى غلبة الجسد
 المادى على الروح ولذلك قال تعالى : (ويحرم عليهم الخبائث) كى لا يضعف
 سلطان الروح بغذاء الحرام والى ما قلناه أولا نستدل بحديث رواه أصحاب
 السنن : والطبرانى ، والبيهقى عن الأسود بن سريع قال : قال رسول الله ﷺ :
 « كل مولود يولد على الفطرة حتى يمرب عنه لسانه فابواه يهودانه أو
 ينصرانه أو يمجسانه » اه فلا تشرب علينا بعد هذا اذا قلنا : أن الانسان
 بحد ذاته مجموعة فضائل وكمالات

أولاً أكثرهم، وقد دل على ذلك أدلة كثيرة منها قول النبي ﷺ حين مر به الغنى والمساكين في المسجد : هذا - يعنى المساكين - خير من ملء الأرض مثل هذا - يعنى الغنى - وقد خرجه البخارى وغيره (١) ومنهم من لو أقسم على الله لأبره كما فى الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال فى أهل الجنة : « كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره » وفى رواية « أشعث ذو طمرين » وفى رواية خرجه ابن ماجه « أنهم ملوك أهل الجنة » وفى الحديث المشهور رب أشعث أغبر ذى طمرين مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لأبره ، خرجه الحاكم وغيره

رب ذى طمرين نضو يأمن العالم شره
لا يرى الا غنيا وهو لا يملك ذره
ثم لو أقسم فى شيء على الله أبره

قال ابن مسعود : كونوا جدد القلوب خلّقان الثياب سرج الليل مصاييح الظلام تعرفون فى أهل السماء وتخفون على أهل الأرض .

طوبى لعبد بحبل الله معتصمه على صراط سوى ثابت قدمه
رث اللباس جديد القلب مستتر فى الأرض مشتهر فوق السمار سمه
ما زال يستحقّر الأولى بهمه حتى يرقى الى الاخرى به همه
فذاك أعظم من التاج متدبنا على التمارق محتفا به خدمه

واعلم أن محبة المساكين لها فوائد كثيرة منها أنها توجب اخلاص العمل لله عز وجل لان الاحسان اليهم لمحبتهم لا يكون الا لله عز وجل لان نفهم فى الدنيا لا يرجى غالبا فاما من أحسن اليهم ليمدح بذلك فما أحسن اليهم حبا لهم بل حبا لأهل الدنيا وطلبا لمدحهم له بحب

لمساكين ومنها أنها تزيل الكبر فان المتكبر لا يرضى بمجالسة المساكين
كما سبق عن رؤساء قريش والأعراب ومن هذا حذوهم من هذه الأمة
عن تشبه بهم حتى أن بعض علماء السوء كان لا يشهد الصلاة في جماعة
خشية أن تزاوجه المساكين في الصف ويمتنع بسبب هذا الكبر فيفوته خير
كثير جدا فان مجالس الذكر والعلم تقع فيها كثيرا بمجالسة المساكين فانهم
أكثر هذه المجالس فيمتنع المتكبر من هذه المجالس بتكبره وربما كان المسموع
منه الذكروالعلم من جملة المساكين فيأنف اهل الكبر من التردد الى مجلسه كذلك
فيفوتهم خير كثير وقد أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم قالوا: (لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القرينين عظيم) يشيرون الى عظماء مكة والطائف كعتبة بن
ربيعة و اخيه شيبة ونحوهما من صناديد قريش وثقيف ذوى الأموال والشرف
فيهم ممن كان أكثر مالا من محمد ﷺ وأعظم رياسة عندهم (١) ورد عليهم

(١) لم يكن عتبة اعظم رآسة عند قريش ومعاذ الله ان يكون ذلك
ولا يوافق التاريخ نفسه على ما يدعيه المصنف في هذه الكلمة البعيدة فان بنى
هاشم اشرف من الامويين جاهلية واسلاما وان مفاخرة هاشم مع امية فجلا
هاشم امية الى عسقلان وبقي منفيًا عشر سنين ليست مجهولة ولا تنكر ان
المؤلف اراد ان يبين منزلة الفقير وعلوها فقدح في هذا النسب ونسى انه ﷺ
حفيد عبد المطلب شيخ قريش على الاطلاق ولذا ظفرت قريش النبي صلى
الله عليه وسلم بواسطة ابى طالب ان يسودوه ويعدل عن شتم آلهتهم فاذن لم يقولوا
لولا نزل الاندادا • روى مسلم في صحيحه . والترمذى في سننه عن
وائلة بن الاسقع قال قال رسول الله ﷺ « ان الله اصطفى كنانة من
ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم
واصطفانى من بنى هاشم »

سبحانه بأنه يقسم رحمته كما يشاء وأنه كما رفع درجات بعضهم على بعض في الدنيا فكذلك يرفعها في الآخرة بالنبوة والعلم والايمان خير مما يجمعونه من الأموال التي تمنى فهو يخص بهذه الرحمة الدينية من يشاء ويرفعه على أهل النعم الدنيوية وقد خص محمدا صلى الله عليه وسلم بما لم يشركه فيه غيره من هذه النعم كما قال تعالى له: (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) ٥

وقد كان علي بن الحسين يجلس في مجلس زيد بن أسلم فيعتاب على ذلك فيقول: إنما يجلس المرء حيث يكون له فيه نفع أو كما قال يشير إلى أنه ينتفع بسماع ما يسمعه من العلم والحكمة ، وزيد بن أسلم أبوه مولى لعمر ، وعلي ابن الحسين سيد بني هاشم وشريفهم ٥

ولما اجتمع الزهري . وأبو حازم الزاهد بالمدينة عند بعض بني أمية - لما حج - وسمع الزهري كلام أبي حازم وحكمته أعجبه ذلك وقال: هو جاري منذ كذا وكذا وما جالسته ولا عرفت أن هذا عنده فقال له أبو حازم : أجل اني من المساكين ولو كنت من الأغنياء لعرفتني فوبخه بذلك ، وفي رواية عنه أنه قال له لو أحببت الله أحببتني ولكنك نسيت الله فنسيتني يشير إلى أن من أحب الله تعالى أحب المساكين من أهل العلم والحكمة لاجل محبته لله تعالى ومن غفل عن الله تعالى غفل عن أوليائه من المساكين فلم يرفع لهم رأسا ولم ينتفع بما اختصهم الله عز وجل به من الحكمة والعلوم النافعة التي لا توجد عند غيرهم من أهل الدنيا ٥

وقد كان علماء السلف يأخذون العلم عن أهله والغالب عليهم المسكنة وعدم المال والرفعة في الدنيا ويدعون أهل الرياسات والولايات فلا

يأخذون عنهم ما عندهم من العلم (١) بالكلفة * ومنها انه يوجب صلاح القلب وخشوعه ، وفي المسند عن ابي هريرة أن رجلا شكى الى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له « ان أحببت أن يلين قلبك فاطعم المسكين وامسح رأس اليتيم ، . ومنها ان مجالسة المساكين توجب رضى من يجالسهم برزق الله عز وجل وتكظم عنده نعمة الله عز وجل عليه بنظره في الدنيا الى من دونه ومجالسة الأغنياء توجب التسخط بالرزق ومد العين (٢) الى زينتهم وما هم فيه وقد نهى الله

(١) اذا لم يكونوا اهلا واما اذا كانوا اهلا فان الرأسة تزيد العالم شرفا وحسن اعتقاد . ويكون عليه انفذ لانه لا لطمع ، ورأسة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهو خليفة المسلمين لم تمنع الرواية عنهم بل ان حديث الأعمال بالنيات المشهور رواه البخارى في أول صحيحه عن عمر وغير هذا الحديث كثير وان خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه لم تمنع العلماء ان يفتخروا بالرواية عنه حتى ولو كانوا من الناصبة فليس المدار على التقشف والعزلة عن الناس حيث يحتمل ان يكون مأجورا لأحد أرباب الولايات وقد يكون من غير المسلمين وشاهدنا ذلك فى عصرنا فتكون عزلته وتشفه شبكة يصيد بها الناس لبيث افكاره الفاسدة وينشر مروياته المختلقة فالمدار على ان يكون اهلا للعلم ومعروفا بالتقوى الحقيقية سواء ولى الحكم أم لم يتوله فلو كانت عيبا لما قال الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام : (رب هبلى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى) ولم يكن هذا نقصا ولا قدحاً من جعل الرأسة وحدها سبباً لعدم الرواية عن العالم التقى فلا شك انه عدو للاسلام بزي صديق لانه يريد ان ينشر الزلة بين المسلمين ويبقى امرهم فوضى او يودع الى الظلمة وولاية الجور وأرباب الفساد ان الله وانا إليه راجعون (٢) فى النسخة النجدية ومد العين .

حز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال تعالى: (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنظروا الى من دونكم ولا تنظروا الى من فوقكم فإنه أجدر ان لا تزددوا نعمة الله عليكم»، قال أبو ذر: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنظر الى من دوني ولا أنظر الى من فوقي وأوصاني أن أحب المساكين وأن ادنو منهم، وكان عون بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود يجالس الأغنياء فلا يزال في غم لأنه لا يزال يرى من هو أحسن منه لباسا ومركا ومسكنا وطعاما فتركهم وجالس المساكين فاستراح من ذلك * وقد روى عن النبي ﷺ أنه نهى عائشة عن مخالطة الأغنياء (١) وقال عمر: اياكم (٢) والدخول على أهل السعة فإنه مسخطة للرزق، واعلم أن المسكين (٣) اذا أطلق يراد به غالبا من لا مال له يكفيه فان الحاجة توجب السكون والتواضع بخلاف الغنى فإنه يوجب الطغيان ولهذا ذم الفقير المحتال وعظم وعبدته لأنه عصى بما ينافي فقره وهو الاختيال والزهو والكبر، ولما كان المسكين عند الإطلاق لا ينصرف الا الى من لا كفاية له من المال وصى الله تعالى بإيثار المساكين وإطعامهم انطعام ومدح من يطعمهم وذم من لا يحض على إطعامهم وجعل لهم حقافي أموال الصدقات والفقير وخمس الغنائم وحضور قسمة الأموال *

-
- (١) ولا ادري قيمة هذه الرواية وعائشة بنت غنى وزوجها اغنى العالم
 (٢) اياكم خطاب للفقراء والافان عبد الرحمن بن عوف من أغنى الصحابة كان جليسه أو مشاوره وجعل في الشورى عثمان بن عفان ولم يمنعه غناه من الدخول في هذا السباق بل قد بايعوه فكيف يقول ذلك الا ان يكون خطابا للجماعة الفقراء المخصوصين (٣) في النسخة النجدية «واعلم ان المساكين» الخ

ومدح من يطعمهم وذم من لا يحض على اطعامهم وجعل لهم حقا في أموال الصدقات والفقراء وخمس الغنائم وحضور قسمة الأموال .

وهؤلاء المساكين على قسمين ، أحدهما من هو محتاج في الباطن وقد أظهر حاجته للناس ، والثاني من يكتم حاجته ويظهر للناس أنه غني فهذا اشرف القسمين ، وقد مدح الله عز وجل هذا في قوله تعالى : (للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا) وقال النبي ﷺ : « ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمر والتمرتان ولكن المسكين من لا يجد ما يغنيه ولا يفتن له فيتصدق عليه » وقال بعضهم : هذا المحروم المذكور في قوله عز وجل : (للسائل والمحروم) .

فأخبر النبي ﷺ ان من كتم حاجته فلم يفتن له أحق باسم المسكين من الذي أظهر حاجته بالسؤال وانه أحق بالبر منه وهذا يدل على أنهم كانوا لا يعرفون من المساكين الا من أظهر حاجته بالسؤال وبهذا فرق طائفة من العلماء بين الفقير والمسكين فقالوا : من أظهر حاجته فهو مسكين ومن كتمها فهو فقير ، وفي كلام الامام أحمد ايماء الى ذلك وان كان المشهور عنه أن التفريق بينهما بكثرة الحاجة وقلتها كقول كثير من الفقهاء وهذا حيث جمع بين ذكر الفقير والمسكين كما في آية الصدقات فاما اذا أفرد أحدا لاسمين دخل فيه الآخر عندا لا كثيرين ، وقد كان كثير من السلف يكتم حاجته ويظهر الغنى تعففا وتكرما ، منهم ابراهيم النخعي كان يلبس ثيابا حسنة ويخرج الى الناس وهم يرون أنه تحل له الميعة من الحاجة .

كان بعض الصالحين يلبس الثياب الجميلة وفي كفه مفتاح دار كبيرة ولا مأوى له الا المساجد ، وكان آخر لا يلبس جبة في الشتاء لفقره ويقول

(م ٥ - شرح حديث اختصام الملا الأعلى)

بي علة تمنعني من لبس المحشو وانما يعنى بها الفقر - شعر :

ان الكريم ليخفى عنك عسرتة حتى تراه غنيا وهو مجهود

وكان بعكس هؤلاء من يلبس ثياب المساكين مع الغنى تواضعا لله عز وجل وبعدا من الكبر كما كان يفعله الخلفاء الراشدون الأربعة وبعدهم عمر بن عبدالعزيز ، وكذلك كان جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عمر . وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم ارضى الله عنهم ، وروى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان ينشد :

إذا أردت شريف الناس ظمهم فانظر الى ملك في زى مسكين

ذاك الذى حسنت فى الناس سيرته وذاك يصلح للدينا وللادين

وكان على رضى الله عنه يعاتب على لباسه فيقول : هو أبعد عن الكبر وأجدر أن يقتدى به المسلم ، وعوتب عمر بن عبدالعزيز على ذلك فقال : ان أفضل القصد عند الجدة يعنى أفضل ما اقتصد الرجل فى لباسه مع قدرته ووجدانه .

وفى سنن أبى داود . وغيره عن النبى ﷺ أنه قال : « البذاذة من الايمان » يعنى التقشف . وفى الترمذى عن النبى ﷺ « من ترك اللباس تواضعا لله عز وجل وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة حتى يخيره من أى حلل الجنة شاء يلبسها » وخرجه أبوداود من وجه آخر ولفظه « من ترك ثوب جمال وهو يقدرا عليه - أحسبه قال تواضعا - كساه الله حلة الكرامة » . وإنما يذم من ترك اللباس مع قدرته عليه بخلا على نفسه أو كتماننا لنعمة الله عز وجل وفى هذا جاء الحديث المشهور « ان الله اذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثر نعمته على عبده » ومن لبس لباسا حسنا اظهرا لنعمة الله ولم يفعله اختيالا كان حسنا . وكان كثير من الصحابة

والتابعين يلبسون لباسا حسنا ، منهم ابن عباس . والحسن البصري وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الرجل يحب أن يكون لباسه حسنا ونعله حسنا قال ليس ذلك بالكبر إنما الكبر بطر الحق وغمط الناس يعني التكبر عن قبول الحق والانقياد له واحتقار الناس وازدراءهم فهذا هو الكبر وأما مجرد اللباس الحسن الخالي عن الخيلاء فليس بكبر ، واحتقار الناس مع رثائه اللباس كبره .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ماشيا في طريق وهناك أمة سوداء فقال لها رجل الطريق الطريق للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت الطريق يمنة ويسرة فقال النبي ﷺ : «دعوها فلها جبارة (١)» ، خرجه النسائي وغيره ، وفي رواية الطبراني وغيره قالوا يا رسول الله إنها يعني مسكينة قال إن ذاك في قلبها يعني أن الكبر في قلبها وإن كان لباسها لباس المساكين ، وقال الحسن أن قومًا جعلوا التواضع في لباسهم والكبر في صدورهم أن أحدهم أشد كبرا بمدرعته من صاحب السرير بسريره وصاحب المنبر بمنبره (٢) قال أحمد بن أبي الخوارى : قال لي سليمان بن أبي سليمان وكان

(١) وهل شيء أدم على غلوهما في الكبرياء والغرور من قولها هذا فقد استأثرت بالطريق وردت على من طلب منها الطريق ليرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعات غيرها يمر يمنة أو يسرة أما هي فلها وسط الطريق لا ينبغي أن يزاحمها فيها أحد وإنما جبارة بكل معنى السكامة إذ تشهد الكمال ونفسيها وأما غيرها فلا تحب أن يعادها وهذا هو عين الغرور رغما من لباسها الذي يدل على أنها مسكينة حتى غشت الصحابة فقالوا يا رسول الله إنها مسكينة ، وفي هذا خبر عبرة لمن أراد أن يدرس حياة الأشخاص أو الشؤون الاجتماعية فإن اللباس لا قيمة له إلا بنظر المغفل الذي لا يفقه شيئا وأما الرجل الكامل فإن هدفه صفاء الروح وكمال الأخلاق وتربية النفس وعلو الهمة لا يهمه اللباس ولا تنفره الظواهر بل يكون نظره منصوبا نحو الحقيقة

(٢) قوله : وصاحب المنبر بمنبره سقطت هذه الجملة من النسخة النجدية

يعدل بأبيه (١) أى شئ أرادوا بثياب الصوف؟ قلت التواضع قال : وما يتكبر
أحدهم الا اذا لبس الصوف؟ وقال أبو سليمان يكون ظاهرك قطنيا وباطنك
صوفيا، وقال أبو الحسين بن بشار صوف قلبك والبس القوهى على القوهى
يعنى رفيع الثياب، فتى أظهر الانسان لباس المساكين لدعوى الصلاح ليشتهر
بذلك عند الناس كان ذلك كبرا ورياء، ومن هنا ترك كثير من السلف
المخلصين اللباس المختص بالفقراء والصالحين وقالوا : انه شهرة، ولما قدم
سيار أبو الحكم البصرة لزيارة مالك بن دينار لبس ثيابا حسنة ثم دخل
المسجد فصلى صلاة حسنة فرآه مالك ولم يعرفه فقال له يا شيخ انى أرغب
بك عن هذه الثياب مع هذه الصلاة فقال له يا مالك ثيابى هذه تضعنى عندك
ام ترفعنى؟ قال بل تضعك فقال نعم الثوب ثوب يضع صاحبه عند الناس
ولكن انظر يا مالك لعل ثوبيك هذين يعنى الصوف أنزلك عند الناس مالم
ينزلك من الله فبكى مالك وقام اليه واعتنقه وقال له أنشدك الله أنت
سيار أبو الحكم؟ قال نعم، فلماذا كره من كره من السلف كابن سيرين وغيره
لباس الصوف حيث صار شعار الزاهدين فيكون لباسه اشهارا للنفس
واظهارا للزهد، وأما النبى ﷺ فكان يلبس ما وجد فتارة يلبس لباس
الاغنياء من حلل اليمن وثياب الشام ونحوها وتارة يلبس لباس المساكين
فيلبس جبة من صوف احيانا وحيانا يتزر بعباءة ويهوى لابل الصدقة بيده
يعنى أنه يطلها بيده ويصلحها كما يفعل أرباب الابل بها ولم يبعث الله نبيا

(١) أى أنه بلغ من الكمال أن جعل معادلا لآبيه أبى سليمان الداراني المشهور
بالورع والتقوى والصلاح، أى لما كان الصوف علامة الخشوع والتواضع فصوف
قلبك أى اجتهد أن يكون خاشعا متواضعا ولا عبرة بظاهرك ولو لبست الثياب الغالية
المن والى تدل على الكبر والعظمة لأن الرجل لا يكون انسانا بلباسه وانما هو بفضل
وكاله وعبادته ونعمه لحلقه

من أهل الكبر وإنما يبعث من لا كبر عنده ولا يتكبر عن معالجة الأشياء التي يأنف منها المتكبرون كراية الأبل والغنم واجارة نفسه عند الحاجة إلى الاكتساب ومن أعطاه الله منهم ملكا فإنه لم يزل دأبه التواضع (١) الله عز وجل كداود وسليمان ومحمد صلى الله عليهم وسلم تسليما كثيرا وقد يطلق اسم المسكين ويراد به من استكان قلبه لله عز وجل وانكسر له وتواضع لجلاله وكبريائه وعظمته وخشيته ومحبته ومهابته وعلى هذا المعنى حمل بعضهم الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين» أخرجه الترمذى من حديث انس (٢) وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس، وفي حمله على ذلك نظر لأن في تمام حديثيهما ما يدل على أن المراد به المساكين من المال لأنه ذكر سبقهم الأغنياء إلى الجنة مع أن في اسناد الحديثين ضعفا، وقد خير النبي ﷺ أن يكون نبيا ملكا أو عبدا رسولا فأشار إليه جبريل أن تواضع فقال بل عبدا رسولا وكان بعد ذلك لا يأكل متكئا ويقول «أكل لنا يأكل العبد وأجلس لنا يجلس العبد» قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: فأعطاني الله لذلك أن جعلني سيد ولد آدم وأول شافع وأول مشفع وأول من تنشق عنه الأرض، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنما أنا عبد فقولوا عبد الله» ورسوله فأشرف أسمائه عبد الله ولهذا سمي بهذا الاسم في القرآن في أفخر مقاماته فلما حقق ﷺ عبوديته لربه حصلت له السيادة على جميع الخلق، كان كثير من العارفين يقول في مناجاته لربه كفى بي فخرا أنى لك عبد وكفى بي شرفا أنك لى رب، وكان بعضهم يقول كلما ذكرت أنه ربي وأنا عبده حصل لى من السرور ما يصلح به بدنى :

(١) في النسخة النجدية فإنه يزداد تواضعا (٢) تكلم في هذا الحديث ابن الجوزى وابن تيمية

شرف النفوس دخولها في رقبهم والعبد يحوى الفخر بالتملك
وكان أبو يزيد البسطامي ينشد هـ

يألتنى صرت شيئا من غير شيء أعد
أصبحت للكل مولى لأتني لك عبد

فمن انكسر قلبه لله عز وجل واستكان وخشع وتواضع جبره الله
عز وجل [ورفعه بقدر ذلك] (١) وفي الاثر المشهور ان الله عز وجل
قال لموسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام حين سأله أين أجذك ؟
قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلى فاني أدنو منهم كل يوم باعا ولولا ذلك
لأنهدموا (٢) وروى عن عبد الله بن سلام أنه فسر له فقال هم المنكسرة
قلوبهم بحب الله عن حب غيره ، وفي الحديث المشهور المرفوع هـ ان الله
تعالى اذا تجلى لشيء من خلقه خشع له فاذا تجلى لقلوب العارفين عظمت الله وجلاله
و كبرياؤه اندكت قلوبهم من هيئته وخشعت وانكسرت من محبته ومخافته :
مساكين أهل الحب حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر (٣)

(١) الزيادة من النسخة النجدية

(٢) وذلك لانهم عرضة لنوائب الدهر وهدف لسهام الاغنياء اذ انهم آله مسخرة
لهم وقد جبل الانسان على الطمع فهو ان استخدم شيئا لمصلحة لا يرحمه وهؤلاء
الفقراء لولا مودة الله واطفه بهم لأنهدموا أى لعقدوا وجودهم لكثرة ما يقع بهم وما يحصل لهم
من المشقات والمصائب ولكن رحمة الله خفت عنهم وجمعت لهم قوة لا يبالون معها في كل ما يحدث
(٣) وهذا هو الواقع فانك اذا وصات الرقة مصيف هرون الرشيد ومررت على المقبرة
الواقعة على شاطئ الفرات قرب صفين فانك تجد قبر عمار بن ياسر الصحابي الجليل
رضي الله عنه عليه آثار المكنة فلا بناء ولا تشييد ولا تجصيص ولا يدلك عليه الا
مهابة موقفة في قلبك وجلالة نورانيته التي تتجلى على قبره مع أنك تجد في جواره قريبا وبعيدا القبور
الفخمة والقبب العظيمة لكثير من المشايخ ولا شك ان هذا دليل على حبه واخلاصه
فان كثرة الزائرين والعارفين به لا يخطر على بال احدهم أن يبنى له قبة كما تثر
القبور او المعابد نعمة من الله عليه وكرامة له كي لا يفتتن به المسلمون

فالمسكين في الحقيقة من استكان قلبه لربه وخشع من خشيته ومحبه ولا يكون المسكين ممدوحا بدون هذه الصفة فان من لم يخشع قلبه مع فقره وحاجته فهو جبار كذلك الامة السوداء التي قال فيها النبي ﷺ انها جبارة وهو إما عائل مستكبر أو فقير محتال وكلاهما لا ينظر الله اليه يوم القيامة ، فالأول من يستكين قلبه لربه ويخشع له ويتواضع ويظهر مسكنته وفاقة اليه في الشدة والرخاء أما في حال الرخاء فإظهار الشكر وأما في حال الشدة فإظهار الذل والعبودية والفاقة والحاجة الى كشف الضر قال تعالى : (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) فذم من لا يستكين لربه عند الشدة ، وكان النبي ﷺ يخرج عند الاستسقاء متواضعا متخشعا متمسكنا وحبس لمطرف بن عبد الله قريب له فلبس خلقان ثيابه وأخذيده قصبة وقال أتمسكن لربى لعله يشفعني فيه ، وبما يشرع فيه التمسكن لله عز وجل حال الصلاة كما في حديث الفضل بن عباس عن النبي ﷺ قال : الصلاة مثني مثني تشهد في كل ركعتين وتخشع وتضرع وتمسكن وتقنع يديك - يقول ترفعهما - وتقول يارب ثلاثا فمن لم يفعل ذلك فهي خداج خرجه الترمذي وغيره ، وكذلك يشرع إظهار المسكنة في الدعاء ، خرج الطبراني من حديث ابن عباس قال : رأيت النبي ﷺ يدعو بعرفة ويداه الى صدره كاستطعام المسكين ومن حديثه أيضا ان النبي ﷺ قال في دعائه عشية عرفة : أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبيه أسألك مسألة المسكين وأبتل اليك ابتهاال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضريب • وكان بعض السلف يجلس بالليل مطرقا رأسه ويمد يديه وهو ساكت كحال المسكين المستعطى ، وقال طاووس : دخل على بن الحسين الحجر ليلة فصلي فسمعه يقول في سجوده عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك

بفنائك سائلك بفنائك قال: طاووس حفظتهن فما دعوت بهن في كرب الا
فرج عني ، وكان بعض العباد قد حج ثمانين حجة على قدميه فيينا هو في
الطواف وهو يقول يا حبيبي يا حبيبي فهتف هاتف ليس ترضى أن تكون
مسكيننا حتى تكون حبيبا فغشى عليه فكان بعد ذلك يقول مسكينك ،
مسكينك ، شعر لابن تيمية شيخ الاسلام رحمه الله :

أنا الفقير الى رب السموات أنا المسيكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي والخير ان جاءها من عنده ياتي
قوله ﷺ : « وان تغفلي وترحمي » المغفرة والرحمة يجمعان خير
الآخرة كله لأن المغفرة ستر الذنب مع وقاية شره وقد قيل انه لا يجتمع
المغفرة مع عقوبة الذنب حيث كانت المغفرة وقاية لشر الذنب وهذا لا يكون
مع عقوبة عليه ولذلك سمي المغفر مغفرا لأنه يستر الرأس ويقيه الأذى
وهذا بخلاف العفو فانه يكون تارة قبل العقوبة وتارة بعدها ، وأما الرحمة
فهي دخول الجنة وعلو درجاتها وجميع ما في الجنة من النعيم بالمخلوقات ومن
رضى الله عز وجل وقربه ومشاهدته وزيارته فانه من رحمة الله تعالى ، وفي
الحديث الصحيح « ان الله عز وجل يقول للجنة أنت رحمتي أرحم بك من
أشاء من عبادي ، فكل ما في الجنة فهو من رحمة الله عز وجل وانما تنال
برحمته لا بالعمل كما قال ﷺ : « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا
أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنني الله برحمته » (١) هـ

قوله ﷺ : « واذا أردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون » المقصود
من هذا الدعاء سلامة العبد من فتن الدنيا مدة حياته فان قدر الله عز وجل
على عباده فتنة قبض عبده اليه قبل وقوعها وهذا من أهم الأدعية فان

المؤمن اذا عاش سليماً من الفتن ثم قبضه الله تعالى اليه قبل وقوعها وحصول الناس فيها كان في ذلك نجاة له من الشر كله وقد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يتعوذوا بالله من الفتن مظهر منها وما بطن ، وفي حديث آخر وجنبنا الفواحش والفتن مظهر منها وما بطن ، وكان يخص بعض الفتن العظيمة بالذكر وكان يتعوذ بالله في صلاته من أربع ويأمر بالتعوذ منها أعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ، ففتنة المحيا تدخل فيها فتن الدين والدنيا كلها كالشكركم والبدع والفسوق والعصيان وفتنة الممات يدخل فيها سوء الخاتمة وفتنة المملكين في القبر فان الناس يفتنون في قبورهم مثل أوقرياء من فتنة الدجال ثم خص فتنة الدجال بالذكر لعظم موقعها فانه لم يكن في الدنيا فتنة قبل يوم القيامة أعظم منها ولما قرب الزمان من الساعة كثرت الفتن •

وفي حديث معاوية عن النبي ﷺ أنه قال: «لانه لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة» وأخبر النبي ﷺ عن الفتن التي كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا ، وكان أول هذه الفتن ما حدث بعد عمر رضى الله عنه ونشأ من تلك قتل عثمان رضى الله عنه وما ترتب عليه من اراقة الدماء وتفرق القلوب وظهور فتن الدين كبداية الخوارج المارقين من الدين وازهارهم ما اظهروا ، ثم ظهور بدع أهل القدر والرفض ونحوهم وهذه هي الفتن التي تموج كموج البحر المذكورة في حديث حذيفة المشهور حين سأله عنها عمر وكان حذيفة رضى الله عنه من أكثر الناس سؤالاً للنبي ﷺ عن الفتن خوفاً من الوقوع فيها ولما حضره الموت قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم الحمد لله الذي سبقت بي الفتنة قادتها وعلوجها وكان موته قبل قتل عثمان

ينحو من أربعين يوماً وقيل بل مات بعد قتل عثمان وكان في تلك الأيام رجل من الصحابة نائماً فأتاه آت في منامه فقال له قم فاسأل الله أن يعيدك من الفتنة التي أعاد منها صالح عباده فقام فتوضأ وصلى ثم استسكى ومات بعد قليل ، وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال لرجل : « إذا مت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان فإن استطعت أن تموت فمت » وهذا إشارة إلى هذه الفتن التي وقعت بمقتل عثمان رضي الله عنه *

والدعاء بالموت خشية الفتنة في الدين جائز وقد دعا به الصحابة رضي الله عنهم والصالحون بعدهم ، ولما حج عمر رضي الله عنه آخر حجة حجها استلقى بالأبطح ثم رفع يديه وقال : اللهم انه قد كبر سني وورق عظمي وانتشرت رعبتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفتون ثم رجع إلى المدينة فما انساخ الشهر حتى قتل رضي الله عنه ، ودعا على ربه أن يريحه من رعيته حيث سئم منهم فقتل عن قريب ، ودعت زينب بنت جحش لما جاءها عطاء عمر من المال فاستكثرت وقالت اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعدها فماتت قبل العطاء الثاني ولما ضجر عمر بن عبد العزيز من رعيته حيث ثقل عليهم قيامه فيهم بالحق طلب من رجل كان معروفاً بإجابة الدعوة أن يدعو له بالموت فدعا لله ولنفسه بالموت فماتاً هودعي طائفة من السلف الصالح إلى ولاية القضاء فاستمهلوا ثلاثة أيام فدعوا الله لأنفسهم بالموت فماتوا *

واطلع على حال بعض الصالحين ومعاملاته التي كانت سراييه وبين ربه فدعا الله أن يقبضه إليه خوفاً من فتنة الاشتهار فمات فان الشهرة بالخير فتنة ، كما جاء في الحديث كفى بالمرء فتنة أن يشار إليه بالأصابع فانها فتنة وكان سفيان الثوري يتمنى الموت كثيراً فسئل عن ذلك فقال : ما يدريني لعلني أدخل في بدعة لعلني أدخل فيما لا يحل لي لعلني أدخل في فتنة اكون

قد مت فسبقت هذا

واعلم أن الانسان لا يخلو من فتنة قال ابن مسعود رضى الله عنه: لا يقل أحدكم أعوذ بالله من الفتن ولكن ليقل أعوذ بالله من مضلات الفتن ثم تلا قوله تعالى: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) يشير الى أنه لا يستعاذ من المال والولد وهما فتنة ، وفي المسند أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أم سلمة أن تقول : « اللهم رب النبي محمد اغفر لى ذنبى واذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن ما أبقيتنى » وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم النساء والأموال فتنة ففى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال : « ما تركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء » وفيه أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال : (والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها ثم تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء » (١) وفى الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال

(١) أى والآخر كذلك فما من فتنة الا وللنساء فيها مدخل حتى أنه من الامثال لكل فتنة لا يعرف سببها . فنش عن المرأة ولكن هذا لا يمنعنا أن نقول أن معظم الخبر كذلك من النساء فالمسلمون لا يستطيعون أن ينكروا ما بذمتهم من الدين الجديدة رضى الله عنها ولكن لما كان الغالب على النساء الجهل فاعتبر حال الاكثر منهن وهو الفتنة فان للمرأة امكنة لا يصل اليها غيرها ولذلك حذر منها لابعثارها امرأة فان الام امرأة وقد جعلت الجنة تحت أقدام الامهات فكل ما ورد فى ذم المرأة فهو محمول على المرأة الجاهلة التى لا دين لها ، ولا تغفل عن آية ان المسلمين والمسلمات الخ الآية فقد قرن الرجل الكامل بالمرأة الكاملة ولم يفرق بينهما وانما الاحاديث حكاية حال لغالب النساء الذين جنا عليهم أبائهم يملوهم وهن صفار ما يجب لهن وعليهن شرعا

« لكل امة فتنه وفتنة امتي المال » وقد قال الله عز وجل: (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا) فالرجل فتنة للمرأة والمرأة فتنة للرجل والغنى فتنة للفقير والفقير فتنة للغنى والفاجر فتنة للبر والبر فتنة للفاجر والكافر فتنة للمؤمن والمؤمن فتنة للكافر كما قال الله تعالى: (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) وقال عز وجل: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) فجعل كل ما يصيب الانسان من شر أو خير فتنة يعنى انه محنة يمتحن بها فان أصيب بخير استحق به شكره وأن أصيب بسوء استحق به صبره وفتنة السراء أشد من فتنة الضراء قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر (١) قال بعضهم: فتنة الضراء يصبر عايتها البر والفاجر ولا يصبر على فتنة السراء الا صديق *

ولما ابتلى الامام أحمد بفتنة الضراء صبر ولم يجزع وقال: كانت زيادة في ايماني فلما ابتلى بفتنة السراء جزع وتمنى الموت صباحا ومساء وخشى أن يكون نقصا في دينه ثم ان المؤمن لا بد أن يفتن بشيء من الفتن المؤلمة الشاقة عليه ليمتحن ايمانه كما قال الله تعالى: (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) ولكن الله يلفظ بعباده المؤمنين في هذه

(١) كأنه يريد من فتنة الضراء الحروب والحاجة فصبروا عليها حتى غلبوا الدنيا وأصبحوا بعد الاملة أغنياء وفتنة السراء هي الفتن التي وقعت بعد وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله حيث ابتدأت تدب فهو وان يكن توفي سنة ثنتين وثلاثين هجرية في زمن عثمان الا انه شاهد المقدمات وحكم على النتيجة التي لازال المسلمون يتجرعون مرارتها حتى الآن

الفتن (١) و يصبرهم عليها ويثيبهم فيها ولا يلقبهم في فتنة بهلكة مضلة تذهب بدينهم بل تمر عليهم الفتن وهم منها في عافية .

وأخرج ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر مرفوعا أن الله ضنّان من عباده (٢) يغذوهم في رحمته ويحييهم في عافية ويتوفاهم إلى جنته أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في عافية ، والفتن الصغار التي يتلى بها المرء في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الطاعات من الصلاة والصيام والصدقة لذا جاء في حديث حذيفة ، وروى عنه أنه سأل النبي ﷺ قال إن في لساني ذربا وأن عامة ذلك على أهلي فقال له أين أنت من الاستغفار ؟ .

وأما الفتن المضلة التي يخشى منها فساد الدين فهي التي يستعاذ منها ويسأل الموت قبلها فمن مات قبل وقوعه في شيء من هذه الفتن فقد حفظه الله تعالى وحماه ، وفي المسند عن محمود بن لبيد عن النبي ﷺ قال : اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتن ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب .

قوله ﷺ : « وأسألك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يُبقي حبك » هذا الدعاء يجمع كل خير فإن الأفعال الاختيارية من العبادات إنما تنشأ عن محبة وإرادة فإن كانت محبة الله ثابتة في قلب العبد نشأت عنها حركات الجوارح فكانت بحسب ما يحبه الله ويرتضيه فأحب ما يحبه الله عز وجل من الأعمال والأقوال كلها ففعل حيث شذ الخيرات كلها وترك

(١) في النسخة النجدية لكن ياطف الله بمن يختصه من عباده المؤمنين في هذه الفتن
(٢) ضنّان بالضاد أي خصائص واحدا ضنينة فعيلة بمعنى مفعولة من الضن وهو ما تخفيه وتضن به أي تبخل لمكانه منك وموقعه عندك أه لسان العرب وكتب مصححه بالهامش نقلا عن الصاغاني أن هذا من الأحاديث التي لا طرق لها أه

المنكرات كلها وأحب من يحبه الله من خلقه ، وهذا الدعاء كانت الأنبياء عليهم السلام يدعون به كما في الترمذي عن النبي ﷺ أن داود عليه السلام كان يقول : اللهم اني أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يبلغني الى حبك اللهم اجعل حبك أحب الى من نفسي وأهلي ومن الماء البارد » وفيه أيضا أن النبي ﷺ كان يدعو اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب عمل يبلغني الى حبك اللهم مارزقني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب ومازويت عني مما أحب فاجعله فراغا لي فيما تحب ، وفي حديث مرسل خرج ابن أبي الدنيا وغيره أن النبي ﷺ كان يقول : « اللهم اجعل حبك أحب الأشياء اليّ وخشيتك أخوف (١) الأشياء عندي واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق الى لقائك واذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فأقرر عيني في عبادتك ، ومن كان همه طلب محبة الله عز وجل أعطاه الله فوق ما يريد من الدنيا تبعا »

قال بعض السلف : لما توفي داود عليه السلام أرسل الله عز وجل إلى سليمان عليه السلام ألك حاجة تسألني إياها ؟ فقال سليمان أسأل الله أن يجعل قلبي يحبه كما كان قلب أبي داود يحبه وأن يجعل قلبي يخشاه كما كان قلب أبي داود يخشاه فشكر الله له ذلك وأعطاه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده *

ومحبة الله تعالى على درجتين إحداهما واجبة وهي المحبة التي توجب للعبد محبة ما يحبه الله من الواجبات وكراهة ما يكرهه من المحرمات فإن المحبة الثامة تقتضي الموافقة لمن يحبه في محبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه خصوصا فيما يحبه ويكرهه من المحب نفسه فلا تصح المحبة بدون فعل ما يحبه المحبون

(١) في النسخة النجدية « وخوفك أخوف »

من محبيه وكراهة ما يكرهه المحبوب من محبيه ، وسئل بعض العارفين عن المحبة
فقال الموافقة في جميع الأحوال وأنشد :
ولو قلت لى مت مت سمعا وطاعة وقلت لداعى الموت أهلا ومرحبا
وأنشد بعضهم :

تعصى الآله وأنت تزعم حبه هذا لعمرى فى القياس فظيع (١)
لو كان حبك صادقا لأطعته ان المحب لمن يحب مطيع (٢)
ومتى أدخل العبد ببعض الواجبات أو ارتكب بعض المحرمات فحبه لربه
غير تامة فالواجب عليه المبادرة بالتوبة والاجتهاد فى تكميل المحبة المفضية
لفعل الواجبات كلها واجتناب المحرمات كلها ، وهذا معنى قول النبى ﷺ
« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو
مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » فان الايمان الكامل يقتضى

(١) فى النسخة النجدية « فى القياس شنيع »

(٢) وان هذا عندنا خبر برهان يوضح ان حالة من يزعم الاسلام أو حبه فاذا
كانت أعماله تخالف أقواله فلا شك أنه يخادع كذاب اذ لو تكلم عن عقيدة لعمل بها
قال ولما كان أراد ان يستغل المغفلين من المسلمين فيزعم موالاتهم فى القول وهو لهم
من أشد الأعداء والأذى فى الأفعال ، ايت كل مسلم فهم معنى هذين البيتين وعمل
بموجبهما كى يعرف أعداء الاسلام من أصحابه عندئذ تذهب الدسائس وتقل الفتن
وتضعف أو تنقصد مداخلة الدخلاء اعداء الاسلام فالمحب ينبغي أن يطعم حبيه والا فانه
كاذب فى حبه ومن ادعى خدمة الاسلام عليه أن يعمل أولا بأحكامه والا فان ايمانه
يكون مشكوكا فان القول المجرد لادلائل عليه الا العمل الذى يجب أن يشهده الطابع
لخدمته ويراه العاصى ليتندى به ويتق بقلوبه فلم تنزل آية تتعلق بالايمان الا وقرنت
بالعمل لانه المؤيد له والبرهان والحجة التى تقام على صحته عندنا لا تنظام الشئون وأما
عند الله فانه أعلم به وهو الذى لا يخفى عليه خافية ان لا نضيع أجر من أحسن عملا •

محبة ما يحبه الله وكرهه ما يكرهه الله عز وجل والعمل بمقتضى ذلك فلا يرتكب أحد شيئا من المحرمات أو يخل بشيء من الواجبات إلا لتقديم هوى النفس المقتضى لارتكاب ذلك على محبة الله تعالى المقتضية لخلافه .

(الدرجة الثانية) من المحبة درجة المقربين وهي أن يمتلئ القلب بمحبة الله تعالى حتى توجب له محبة النوافل والاجتهاد فيها وكرهه المكروهات والانكفاف عنها والرضا بالأقضية والاقدار المؤلمة للنفوس لصدورها عن المحبوب كما قال عامر بن قيس: أحببت الله حبا هون على كل مصيبة ورضائي بكل بلية : فلا أبالي مع حبي إياه على ما أصبحت ولا على ما أمست . وقال عمر بن عبد العزيز : لما مات ولده الصالح ان الله أحب قبضه وإنى لأعوذ بالله أن يكون لى محبة فى شيء من الامور يخالف محبة الله وكان يقول اذا أصبحت فالى سرور الا فى مواقع القضاء والقدر .

يامن يعز علينا أن يفارقهم وجدانا كل شيء بعدكم عدم
ان كان سركم ما قد بايت به فما لجرح اذا أرضاكم الم
وحسب سلطان الهوى أن يلذ فيه كل ما يؤلم
كان عمار بن ياسر يقول : اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عنى أن أرمى
بنفسى من هذا الجبل فأتحدى فأسقط فعلت ولو أعلم أنه أرضى لك أن أوقد
نارا عظيمة فأقع فيها فعلت ولو أعلم أنه أرضى لك عنى أن ألقى نفسى فى
الماء فأغرق نفسى فعلت ولا أقول هذا الا وأريد وجهك وأنا أرجو أن
لا تخيبنى وأنا أريد وجهك ، وقتل لبعض الصالحين ولدان فى الجهاد
فمزاه الناس فيهما فبكى وقال انى ما أبكى لفقدهما انما أبكاني كيف كان
رضاهما عن الله حيث أخذتهما السيوف ، وكان بعض العارفين يطوف
بالبيت فتجمعت القراء طة على الناس فقتلوهم فى الطواف فوصلوا اليه

فلم يقطع الطواف حتى سقط من ضرب السيوف صريعا وأنشد :
 والله لو حلف العشاق انهم موتى من الحب ماماتوا وما حنثوا
 ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون لم لبثوا
 أقل ثمن المحبة (١) بذل الروح .
 بدم المحب يباع وصلهم فمن الذي يبتاع بالثمن
 قال بعض العارفين : ان كنت تسمح ببذل روحك في هذه الطريق والا
 فلا تشتغل بالترهات :

خاطر بروحك في هو انا واسترح ان شئت تحظى بالمحل الأعظم
 لا يشغلنك شاغل عن وصلنا وانفض على قدم الرجاء واقدم
 ولما كانت محبة الله عز وجل لها لوازم وهي محبة ما يحبه الله عز وجل من
 الأشخاص والأعمال وكرامة ما يكرهه من ذلك سأل النبي ﷺ الله تعالى
 مع محبته محبة شيئين آخرين ، أحدهما محبة من يحب ما يحبه الله تعالى فان من
 أحب الله أحب أعباءه فيه ووالاهم وأبغض أعداءه وعاداهم كما قال النبي
 ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب
 إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعر في الكفر بعد إذ أنقذه
 الله منه كما يكره أن يلقى في النار » وأعظم من تجب محبته في الله تعالى أنبياءه ورسوله
 وأعظمهم نبيه محمد ﷺ الذي افترض الله على الخلق كلهم متابعتة وجعل متابعتة
 علامة لصحة محبته كما قال تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر
 لكم ذنوبكم) وتوعد من قدم محبة شيء من المخلوقين على محبته ومحبة رسوله ﷺ
 ومحبة الجهاد في سبيله في قوله تعالى : (قل ان كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم
 وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقربتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن
 ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا) ووصف

(١) في النسخة النجدية « أقل بذل المحبة » الغ

(م - ٦ شرح حديث اختصام الملا الأعلى)

المحبين له باللين للمؤمنين والرافة بهم والرحمة والمحبة لهم والشدة على الكافرين والبغض لهم والجهاد في سبيله فقال تعالى : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) الآية هـ

والثاني محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال وبها يبلغ الى حبه وفي هذا اشارة الى أن درجة المحبة لله تعالى انما تنال بطاعته وبفعل ما يحبه فاذا امتثل العبد أوامر مولاه وفعل ما يحبه أحبه الله تعالى ورفاه الى درجة محبته كما في الحديث الآلهي الذي خرج به البخاري « وما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه » فأفضل ما تستجلب به محبة الله عز وجل فعل الواجبات وترك المحرمات ، ولهذا جعل النبي ﷺ من علامات وجدان حلاوة الايمان أن تذكره أن ترجع الى الكفر كما تذكره أن تلقى في النار ، وسئل ذو النون متى أحب ربى؟ قال اذا كان ما يكرهه عندك أمر من الصبر ثم بعد ذلك الاجتهاد في نوافل الطاعات وترك دقائق المكروهات والمشتبهات ، ومن أعظم ما تحصل به محبة الله تعالى من النوافل تلاوة القرآن وخصوصا مع التدبر قال ابن مسعود رضى الله عنه لا يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فمن أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ولهذا قال النبي ﷺ لمن قال انى أحب سورة قل هو الله أحد لانها صفة الرحمن فقال « أخبروه أن الله يحبه » وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن لما قدم النبي ﷺ المدينة خطب فقال في خطبته ان أحسن الحديث كتاب الله قد أفلح من زينه الله في قلبه وأدخله في الاسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من الأحاديث أنه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا من أحب الله وأحبوا الله من كل قلوبكم ، وكان بعضهم يكثرون تلاوة (١) القرآن ثم

فتر عن ذلك فرأى في المنام قائلا يقول له :

ان كنت تزعم حبي فلم جفوت كتابي
أما تدبرت ما في — من لطيف عتابي

فاستيقظ وعاد الى تلاوته :

ومن الاعمال التي توصل الى محبة الله تعالى وهي من أعظم علامات المحبين كثرة ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان قال بعضهم : ما أدمن أحد ذكر الله الا أفادته منه محبة الله تعالى ، وقال ذو النون من أدمن ذكر الله قذف الله في قلبه نور الاشتياق اليه ، وقال بعض التابعين علامة حب الله كثرة ذكره فانك لن تحب شيئا الا أكثر ذكره ، وقال فتح الموصلي : المحب لله لا يجد مع حب الله للدنيا لذة ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين ، المحبون ان نطقوا نطقوا بالذكر وان سكتوا اشتغلوا بالفكر : فان نطقت فلم ألفظ بغير كم وان سكت فاتم عند إضماري ومن علامات المحبين لله وهو بما يحصل به المحبة أيضا حب الخلوة بمناجات الله تعالى وخصوصا في ظلمة الليل :

الليل لي ولأحبابي أسامرهم قد اصطفتيتهم كي يسمعوا ويرعوا (١)
قال الفضيل يقول الله عز وجل كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل
نام عنى أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه ها أنا مطلع على أحبابي اذا
جنهم الليل جعلت أبصارهم في قلوبهم ومثلت نفسي بين أعينهم فخطبوني على
المشاهدة وكلموني على حضوري غدا أقر عين أحبابي في جناتي :
تمام عيناك وتشكو الهوى لو كنت صبا لم تكن نائما
قلوب المحبين جرة تحت فحمة الليل كلما هب عايم نسيم السحر التهب وأنشد
يد كرنى مر النسيم عهودكم فازداد شوقا كلما هبت الريح

(١) في النسخة النجدية : وانا جهم كي يسمعوا ويرعوا الى - وهذه الشارة آية من بحر تلك

أراني إذا ما أظلم الليل اشرفت بقلبي من نار الغرام مصاييح
كلما جن الغسق حن العاشق *

لو أنك أبصرت أهل الهوى إذا غابت الأنجم الطلع
فهذا ينوح على ذنبه وهذا يصلي وذا يركع
من لم يكن له مثل تقواهم لم يدر ما الذي أبكاهم ومن لم يشاهد جمال يوسف
لم يدر ما الذي آلم قلب يعقوب ، وسئل السري السقطي عن حاله فأنشد :
من لم يبت والحب حشو فواده لم يدر كيف تفتت الآكباد
أين رجال الليل ؟ أين ابن أدهم والفضيل ، ذهب الأبطال وبقي كل
بطل ، يامن رضى من الزهد بالزى ومن الفقر بالاسم ومن التصوف
بالصوف ومن التسبيح بالسبح أين فضل الفضيل ؟ أين جد الجنيد ؟ أين
سر السري ، أين بشر إبراهيم بن أدهم ؟ ويحك ان لم تقدر على معرفة
معروف (٢) فاندب على ربع رابعة وأنشد :

هاتيك ربوعهم وفيها كانوا بانوا عنها فليتهم ما بانوا
ناديت وفي حشاشتي نيران يادار متى تحول السكان
يامن كان له قلب فانقلب يامن كان له وقت مع الله فذهب ، قيام الأسحار
يستوحش لك ، صيام النهار يسأل عنك ، ليالى الوصال تعاتبك على انقطاعك :

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا
وأقسمتم أن لا تحولوا عن الهوى فقد وحياء الحب (١) حاتم وما حلنا
ليالى كنا نجتني من ثماركم فقلبي الى تلك الليالى لقد حنا
اخواني مجالس الذكر شراب المحبين وترياق المذنبين قد علم كل أناس
مشر بهم ، مجالس الذكر ما آثم إلا حزان فهذا يكي لذنوبه وهذا يندب لعيوبه وهذا
يتأسف على فوات مطلوبه وهذا يتلف لاعراض محبوبه ، وهذا ييوسخ بوجوده

(١) في النسخة التبجدية « وحياء الرب » (٢) هو معروف الكرخي

وهذا ينوح على فقدته وأنشد :

ما اذكر عيشنا الذي قد سلفا الا وجف القلب ولم قد وجفا
واها لزماننا الذي كان صفا بل وأسفا لفقدته وأسفا
غيره. ياليتنا بزمه زم والحجر يا جيرتنا قيل يوم النفر
فهل يعود ماضى من عمرى ما كنت أدري ياليتنى لا أدري
كأنى أرى الحلم قد خلعت على المقبولين كأنى أرى الملائكة تصافح
التائبين فتعالوا نجتمع نبكى على المطرودين :

مازلت دهرا للقا متعرضا ولطالما قد كنت عنا معرضا
جانبتنا دهرا فلما لم تجد عوضا سوا نادرت تبكى محرضا
واحسرتاه عليك من متقلب حق الوبال عليه من سوء القضا
لو كنت من احبا بالزمتنا فكسيت من احساننا خلع الرضا
لكن غمطت حقوقنا وتركتنا فلذلك ضاق عليك متسع الفضا
تم الكتاب والحمد لله أولا وآخرا وذلك فى شهر ربيع الثانى
سنة ١٣٥٣ هـ على نبينا أفضل صلاة وأكمل تحية

فَهْرِسْتِ

- صفحة كتاب اختيار الأولى فى شرح حديث اختصاص الملائكة الأعلى
- ٣ تخريج حديث الكتاب من طرق كثيرة وبيانها مفصلة
- ٤ بيان عادة النبي ﷺ فى صلاة الصبح
- ٥ بيان معنى قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه : لو طلعت لم تجدنا غافلين
- ٥ استحباب قص الرؤيا على أصحاب الراى اذا كانت مما تسرهم
- ٦ بيان أن النبي ﷺ اعطى علم كل شىء خلا مفاتيح الغيب الخمس
التي اختص الله عز وجل بعلمها
- ٧ مذهب السلف والخلف فى متشابه التنزيل وبيان ان الطريق الاسلام

صفحة هو ما كان عليه الصدر الأول ثم من بعدهم من أهل السنة والجماعة

٨ سبب سؤال الملائكة اذا مات ابن آدم : عما قدم

٩ (الفصل الأول) في ذكر الكفارات

٩ بيان الأمور التي بسببها تكفر الذنوب وما تشتمل عليه الصلاة من الحكم

١٠ ذكر ما تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات

١٠ السبب الأول من مكفرات الذنوب الوضوء

١٢ فائدة الوضوء وثمرته العظيمة وسرد طرق الأحاديث في فضل ذلك

١٤ بيان النصوص التي وردت بحصول الثواب على الوضوء زيادة على تكفير السيئات

١٦ بيان أن الوضوء مفتاح الصلاة وقطفاً به حرارة القلب الناشئة عن الألم

١٧ بيان الأشياء التي ينشأ عنها الرضى بملاحظتها

١٨ ذكر ما كان يحصل للسلف الصالح عند الوضوء من القعقة والاصفرار

١٩ بيان أن اسباغ الوضوء في البرد لاسيما في الليل يطلمع الله عليه ويرضى به

ويباهى به الملائكة

٢١ ذكر من كان لا يشعر ببرد الشتاء الشديد ويرى بخار يخرج من الماء

البارد يقيه البرد

٢٢ السبب الثاني من مكفرات الذنوب المشي على الأقدام إلى الجماعات والجمعات

٢٢ بيان أن للفروض الخمسة التي بنى الإسلام عليها جهتين

٢٤ استحباب الاغتسال قبل المشي إلى الجمعات

٢٥ بيان أن الزيارة على الأقدام أفضل من الركوب

٢٦ من ثواب المشي إلى الصلاة في الظلم تحصيل النور التام في ظلم القيامة

٢٧ حكمة مشروعية الطهارة قبل الدخول في الصلاة

٢٨ مشروعية تجديد التوبة والاستغفار عقب كل وضوء

٢٨ بيان أن جمهور العلماء على أن هذه الأسباب كلها إنما تكفر الصغائر

دون الكبائر وتحقيق ذلك

- ٣٠ السبب الثالث من مكفرات الذنوب الجلوس في المساجد بعد الصلوات
(ووقع في الاصل - الثاني - بدل - الثالث - فليصح)
- ٣١ بيان ان منتظر الصلاة في المسجد كالمصلي في الثواب
- ٣٢ الحكمة في أن ملازمة المساجد للطاعات تكفر الذنوب
- ٣٣ مناجاة المحبين في مساجد الله
- ٣٤ (الفصل الثاني) في ذكر الدرجات المذكورة في حديث معاذ
وهي ثلاث وبيانها مفصلة وذكر احد الدرجات الثلاث
- ٣٥ ماورد في فضل اطعام الطعام من الآيات والاحاديث
- ٣٦ ما كان يقوله أبو موسى الأشعري لولده
- ٣٨ بيان أفضل أنواع اطعام الطعام وذكر سبب نزول آية (و يؤثرون
على أنفسهم)
- ٣٩ ذكر جملة من علماء السلف كانوا يؤثرون الغير على أنفسهم
- ٤١ (الفصل الثالث) ان من الدرجات لين الكلام
- ٤٤ بيان ان الله عز وجل وصف في كتابه أهل الجنة بمعاملة الخلق
بالاحسان بالمال واحتمال الأذى
- ٤٥ أنجح وعظ واسرع قبول للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا أنه
القول فيه وان يكون برفق واتساع صدر وكيف كان السلف في ذلك
- ٤٧ الثالث من الدرجات الصلاة بالليل والناس نيام
- ٤٨ مايجزاه المتهمجدون في الليل يوم القيامة
- ٥١ أقوال علماء الصوفية في التهجد
- ٥٣ (الفصل الثالث) في ذكر الدعوات المذكورة في حديث الكتاب
- ٥٣ بيان ان قوله ﷺ « واذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير
مفتون » من جوامع الأدعية

- ٥٥ بيان أن حب المساكين أصل الحب في الله تعالى
- ٥٦ لم يزل السلف الصالح يوصون بحب المساكين .
- ٥٧ من عادة الرسول ﷺ عيادة المرضى من مساكين أهل المدينة وتشيع جنازتهم وكان لا يأنف أن يمشى مع الأرملة والمسكين حتى يقضى حاجتهما وعلى هذا الهدى كان أصحابه رضى الله عنهم من بعده والتابعون لهم باحسان
- ٧٨ في فضائل المساكين انهم أكثر أهل الجنة الخ
- ٦٠ بيان أن محبة المساكين لها فوائد كثيرة
- ٦٢ بيان أن علماء السلف كانوا يأخذون العلم عن أهله والغالب عليهم المسكنة وعدم المال والرفعة في الدنيا الخ
- ٦٤ مشروعية النظر الى من دون الانسان لالى من فوقه
- ٦٥ تقسيم المساكين الى قسمين وبيانهما مفصلا
- ٦٩ يطلق اسم المسكين ويراد به من استكان قلبه لله عز وجل وانكسر له
- ٧٠ حال مساكين أهل الحب
- ٧٢ كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في المسكين وتفسير حديث «واذا أردت»
- ٧٤ جواز الدعاء بالموت خشية الفتنة في الدين وأقوال علماء السلف في ذلك
- ٧٥ من الفتن بسط الدنيا على الانسان
- ٧٦ حال الامام أحمد بن حنبل في فتنة الضراء والسراء
- ٧٨ محبة الله على درجتين وبيان الدرجة الاولى منهما
- ٨٠ الدرجة الثانية من المحبة درجة المقربين
- ٨١ بيان لوازم محبة الله عز وجل
- ٨٣ بيان الاعمال التي توصل الى محبة الله عز وجل
- ٨٥ خاتمة الطبع وبه يتم الفهرس (تمت الفهرست)